

المحتوى

كلمة

٢ فهداً يومٍ آخر - جورج مغماس

مَدَارَاتُ الجامعة

- ٤ الجامعة في القصر
- ٥ مارون عبود وشارل حلو نحتاً
- ١١ حكم قرقوش
- ١١ شباب الغد
- ١٢ عيد الأم
- ١٢ من حصاد العمل الرعوي الجامعي



كَنْ مَنْ تَريدُ أَنْ تَكونَ. ولكن، دَعْ غَيرَكَ يَكونُ مَنْ يَريدُ أَنْ يَكونَ. أَفليسَ أَنَّكَ باحترامِكَ خِيارَ الآخرِ، تَستدعي الاحترامَ لِخِيارِكَ؟ وهل الحِياةُ، بِحُمولَاتها وتحوّلاتِها، إلاّ من هَذه الخِياراتِ؟! فإِنَّه، بِقَدَرِ ما نَحاولُ نَغني، وبِقَدَرِ ما نَسعى نَتقدّم، وبِقَدَرِ ما نَتلاقى ونَتقاطعُ نَبني المُشترَكَ الخَلاصي!

أَنْ تَكونَ ما تَريدُ أَنْ تَكونَ حقٌّ لك. وحقٌّ لكَ أَنْ تَستقطِبَ إلى ما أنتَ أيّ آخَر؛ ولكن، ليسَ بأَيّةِ وَسيلةٍ.. ليسَ بالميكافيلِيّةِ!

إِنَّ الآخَرَ هوَ أنتَ الآخَر. وَإِنَّ الثَّورَ الأسودَ يُؤكَلُ بِيومٍ يُؤكَلُ الثَّورَ الأبيضُ...

التحرير

٤٥ عدد | نيسان ٢٠٠٩

ndu
spirit

NDU Spirit دورية حول

علامات الحياة في عالم
جامعة سيّدة اللوزية

هاتف/فاكس: ٢١٤٢٠٥ (٠٩)

بريد الكتروني: nduspirit@ndu.edu.lb

موقع الكتروني:

www.ndu.edu.lb/newsandevents/nduspirit

رئيس التحرير

جورج مغماس

التحرير بالانكليزية

كينيث مورتيمر

تتبع أنشطة

غادة معوض

تنفيذ بالعربية

ليديا زغيب

تصوير

عبدو بجاني

تصميم وإخراج

تكنوبوب

طباعة

مطابع معوشي وزكريا

مراجعات

٧١ تطوّر صورة الشرق في الأدب

الانكليزي لناجي عويجان

- ندوة

٧٥ خليل لجورج مغماس - ع. الحوراني

٧٨ من منشوراتنا

وجوه

١٤ منصور الرحباني:

أمين الريحاني

نبال الأميوني

صلاح مطر



ملفات

١٨ بناء الدولة في لبنان - سلسلة ندوات

٣٩ حوار الثقافات

٤٥ الوجود المسيحي في العراق



مقالات

٥٢ شرعة العمل السياسي - المطران بشاره الراعي

٥٤ المياه ثروة..- د. لويس حبيقة

٥٦ الفكاهة بين الشعر الشعبي والحكاية

- د. عصام الحوراني

٦٧ صورة القيامة عند بولس

- الأب جورج خوام

٦٨ ٤٠٠ سنة على ولادة غاليليو

- د. روجيه حجار

٧٠ من نبض باريس (٢) - جورج مغماس



○ | جورج مغماس

.. فغدًا بيومٍ آخر

○ | الواقع اليوم مريع: السياسيون، لا هم يحترمون الناس ولا الناس يحترمونهم؛ والسبب هو خطابهم المتوتر البذيء الفضائحي، وترويجهم السفسطي السفساف، وإقطاعية ذهنياتهم وعسفاً ممارساتهم...

إن السياسة التظيفية ضرورة واجبة، الآن وكلّ أوان. ولكي تكون، فبالقرار التظيف تكون. السياسة التظيفية من القرار التظيف. من الأرثوذكسية. فكذا تكون الحوكمة. لكنّ الحوكمة مفقودة. فالفراغ إذاً يعري. وإليه ينساق تجارّ فجارّ لصوص هياكل بطقوس الرهبان، والناس يخبطون في العشنا والرلّفى ووأد الأحلام...

أما السياسة، بما هي في معناها ومنحائها تنمية وترقية ورعاية، بل خدمة للضعفاء وحفظ للكرامات وإحلال للسلام، من خلال تطرح المبادئ والأهداف والبرامج والمناهج والتباري مجاهدة في سبيلها... فهي لترف ورفع عتبٍ وذرّ الرماد في العيون. وما يحدث إنّما يحدث خارجها، في سياسة أخرى هي الظلمة البرّانية، ظلمة الملكوت المفقود. ولهذا هي، هذي السياسة، ممقوتة مردولة محتقرة. وقد صار الشرفاء والأكفياء يابون مواقعها الكبيرة والصغيرة نيابية حكومية بلدية، ويتحاشون الانخراط في غمارها. صارت الثّخب تخشى التلوث بصيتها المذري، فانكفاً منهم من انكفاً، وحجر على من حجر، ويتردد من يتردد؛ فالساحة مباحة للأردياء. فكيف يرجى التجديد إذاً، كيف يرجى البناء المفيد، كيف يرجى الاصلاح العميق؟!

هي ذي حال سائدة من ضيق ذات يدٍ وصدر، وليس في الأفق إلا البرق الخلب «وصلفاً تحت الرّاعدة» (مثل يضرب لمن يكثر الكلام ولا خير عنده).

ففي البلاد، وهي العليلة وعلى اللعل، نفاخو نار هدارون هدارون إخوة لنبرون لحاً، ويؤرثون الصراعات والتزاعات ويثيرون التّعرات والسّجالات وينقبون في التّفاصيل الممهّضة... والتّحرّشات والسّجالات نكد وكيد ومكائد ونكء جراح وتحريضات صفيقة خليعة ختالة...

السّاحةُ مباحةٌ للأردباء. فكيف يُرجى الإصلاحُ العميقُ

طريقُ السّياسةِ طريقٌ صعبٌ، وبعضُها بابٌ ضيّقُ إلى الانسانيِّ.. إلى القدسيّاتِ

○ | إذا، | إدارةُ الخيرِ العامِّ وقيادةُ الشّأنِ العامِّ..
أبجديّةٌ للقراءةِ والكتابةِ. والمواطنةُ، التي
هي المساواةُ في الحقوقِ والواجباتِ، توجبُ
المشاركةَ وحمايةَ الخياراتِ والقراراتِ.
فللارتقاءِ بواجبِ الخدمةِ العامّةِ لمصلحةِ
الخيرِ العامِّ نحنُ إذاً. وبذلكِ نبني بيتنا
المشتركِ، بيتَ الأحلامِ السّعيدةِ.
إنّ لبنانَ الذي يَمَعُ على فوالقِ جيوسياسيّةِ،
وتاريخه من تاريخِ طوائفه، لا يَسْتَقِرُّ ولا
يُصلِحُ إلاّ باستنباطِ بنيةِ حُكمٍ من روحِ
المعادلةِ الميثاقيةِ وما اكتنّفها من تجاربِ
مُهينةِ أليمةِ، تحوّلُ دونَ أن يبقى على حاله
ما أصابَ نقطةَ التّوازنِ داخلِ الطّوائفِ وفيما
بينها من اهتزازِ، لئلاّ يبقى الوطنُ منكشفاً
على المخاطرِ.. منزلقاً في المهالوي.

فيا ويلَ أمةٍ تتماهى فيها الطّموحاتُ
والادّعاءاتُ وإسقاطاتُ واحاتِ السّراب! يا
ويلها متى اشترعت لها فرائضُ للإثمِ
والظلمِ.. والشكِّ العميمِ!

ولكن، لا بدّ من التّبشيرِ بالغدِ، بالغدِ
الأفضلِ. والغدُ الأفضلُ هو من يومِ أفضلِ،
يُصنَعُ «بالروحِ بالدمِّ». فالصّناعةُ، كلُّ
صناعةٍ، لا تَحْدُثُ بالتبغياتِ، بل بالمغالباتِ.
بالحزمِ والعزمِ. بالحكمةِ والشّجاعةِ.
بالمعرفةِ والدّربةِ والأناةِ. بالمواجهةِ
الكبرى...
ولعلّ الأزماتِ مناسبةٌ للتقسيمِ على
الشّياطين!

○ | إذا،
فلنسمعُ ونصغِ إلى قولِ مَنْ قال:
توافقوا وسيروا بخطى
أضعفكم..! لأنّ طريقَ السّياسةِ
طريقٌ صعبٌ، وبعضُها بابٌ ضيّقٌ
إلى الانسانيِّ.. إلى القدسيّاتِ!
ولنتذكّرُ أنّ اليومَ ليس آخرَ
الدّنيا، وأنّ الغدَ يومٌ آخر...

السّياسةُ النّظيفةُ ضرورةٌ واجبةٌ،
الآنُ وكلُّ أوان.

الجامعة في القصر

□ | روح وطنيّة صادقة وجامعة، فلا تمييز ولا تفرقة ولا تعصّب، بل إيمان بالحريّة واحترام الآخر.

□ | مراكز بحثيّة يمكنها أن تساهم، من خلال دراستها للشأن العامّ، في تقديم أصدق الدراسات للجهات الرسميّة المعنيّة.

○ | وقد ردّ رئيسُ الجمهوريّة بكلمةٍ هنأ فيها الجامعة على نموّها، وقال: «إنّ الديمقراطيّة، التي هي الأساس في بناء الوطن، تعلّم وتكتسب في الجامعة»، مشيراً إلى «أنّ الأسلوب الأنجع هو الإقناع، وخصوصاً قبول القوانين والنتائج، والذي هو أرقى أنواع ممارسة الديمقراطيّة». ورأى «أنّ الجامعة، كما يدلّ اسمها، هي العمود الفقريّ لصهر الشباب وانتشاله من الاصطفاف الحادّ مذهبيّاً وعائليّاً وسياسيّاً، وتنشئته على حريّة الرأي واستقلاليّة الموقف في خياراته السياسيّة وممارسته الديمقراطيّة».

في ٢٧/٠١/٢٠٠٩، زار وفد من جامعة سيّدة اللويزة، برئاسة رئيسها الأب وليد موسى، القصر الجمهوريّ، حيث التقاهم الرئيس العماد ميشال سليمان.

○ | الأب موسى حيّا الرئيس سليمان على الجهود التي يبذلها، في لبنان والخارج، لإعادة تموضع لبنان في مكانه الطبيعيّ وطنّ حريّة وحضارة، وجسّر تواصل ومحبة بين إخوته العرب، ومنازة سلامٍ على أرض ارتوت بدماء بريئة ولا تزال.

وإذ أشار إلى أنّ فرصة بناء الدولة اليوم متاحة برعاية فخامته، وأنّ الجامعة بكلّ إمكاناتها هي في عهده، أكّد الحرص على ثلاثة:

□ | مناهج حديثة راقية في مناخ تربويّ صحيّ سليم، تتوفّر فيه الأبنية والتجهيزات اللائقة، وتقدّم اختصاصات تنسجم مع سوق العمل.

▼ في القصر الجمهوريّ



مارون عبّود رأساً سابعاً

بعد فخر الدين والحافلاني والريحاني وجبران والخوري والصلح، هوذا مارون عبّود رأساً سابعاً عند مدخل جامعة سيّدة اللوزية.

الرأسُ هذا؛ في الأدب قصّةٌ وأقصوصةٌ. يؤبّدُ صوراً عزيزةً من صور القرية اللبنانية وتاريخ لبنان؛ وفي النقد أدباً ولغةً ودينًا واجتماعاً وسياسة. يجلو آفاقاً ويبسطُ رحاباً؛ وفي الالتزام سيرةً ومسيرةً. يَنبِري مثلاً ومثالاً...

هذا الرأسُ- السنديانة. كم يجبُ أن يكونَ لنا شرفه إلى الشمس. وملجأً من العواصف..

وكم أبداعُ إزميل بيار كرم في رسم معانيه!

وفي المناسبة، تلاقى القادرون والمحبتون حول مأدبة التكريم. ظهر الاثنين ٢٠٠٩/٠٢/١٦. وأصفوا...



مارون عبّود

١٨٨٦/٠٢/٠٩ - ١٩٦٢/٠٦/٠٣

١٩٠٩ ينتقل إلى جبيل، يعمل في مجلّة الحكمة، ويدرس في مدرسة الأخوة المريميين. صداقته لعمّر فاخوري ومي زيادة...
١٩١٤ عودته إلى عين كفاع.
١٩٢١ زواجه من نظيره عبّود ثمّ إنجابهما أربعة أولاد: كاترين، نديم، محمّد ثمّ نظير. (سمّيت ابني محمّداً نكايّة بالباطنيين، لأبرهن لهم أنّ المسلم والمسيحيّ يجب أن يعيشا تحت سقف واحد).
١٩٢٢-١٩٥٧ مرحلة الجامعة الوطنيّة- عاليه (الياس شبل الخوري أشهر مؤلّفاته: وجوه وحكايات (قصص لبنانية قرويّة)- زوبعة الدهور (المعري)- الرؤوس (نقد أدبي)- على المحكّ (نقد شعري)- أفزام جبارة (قصص حول شخصيات قرويّة)- الأمير الأحمر (الأمير بشير)- مجدّدون ومجترون (لغة)- سقر لبنان (أحمد فارس الشدياق)- الشيخ بشارة الخوري (الرئيس)- جدد وقدماء (دراسة)- أحاديث القرية (قصص)- حبر على ورق (نقد سياسي)- فارس آغا (قصّة)

١٨٩٦-١٨٩١ مدرسة تحت السنديانة.
١٨٩٧-١٩٠٠ مدارس قريبة عين كفاع: بجة وفغال وكفيفان.
١٩٠١-١٩٠٤ مدرسة مار يوحنا مارون- كفرحي (بهدف أن يصبح كاهناً كجديّه): سخرية- تمرد- شعر؛ ضبّ لسانك أو ضبّ فرشتك (مجلّة الصاعقة)؛
١٩٠٤-١٩٠٦ مدرسة الحكمة- بيروت.
١٩٠٧ بدء العمل: في الصحافة (جريدة الروضة وجريدة النصور)، وفي التدريس (مدرسة الأخوة المريميين)، وفي الترجمة عن الفرنسيّة.
١٩٠٨ بدء صداقته مع أمين الريحاني (ضدّ الإقطاع والفساد).

○ | رئيس الجامعة الأب وليد

موسى، ماذا قال؟

مارون عبّود على باب جامعة ذات تراث رهبانيّ وروحانيّة كاثوليكيّة: موضوع يطرح أكثر من علامة تعجّب واستفهام.



هل طبيعي أن يتصدّر مدخل الجامعة تمثال نصفي لرجل ما ترك لحيه في عصره إلا وتهكم عليها وسخر من أصحابها، واتهمها بأخطاء وخطايا لا تعدّ؟

هذا الماروني الذي حمل اسم مار مارون، شق عصا الطاعة، وحمل عصا الثورة والتمرد، وراح يضرب من دون هوادة ولا مساومة أو مهادنة أو ندامة.

نعم، أيها الأصدقاء، مارون عبود نفسه، يعود اليوم ليتربّع على باب جامعة تحمل اسم العذراء، وذلك لثلاثة أسباب:

■ ١. لأن الجامعة هي بيت حضاريّ مفتوح على مصراعيه، لكلّ رجل فكر، ولكلّ مؤمن بالقلم والحبر. الجامعة التي تحرّم على ثوار القلم الدخول إليها ليست جامعة. وكذلك الكنيسة. مع الثوار، تستطيع الجامعة أن تحقّق أهدافها في الانفتاح والتحرّر والتغيير. نعم، مغفورة خطايا مارون عبود، إن كان هنالك من خطايا، لأنّه رجل حضارة وعلم وحرية.

■ ٢. لأنّ مارون عبود نفّس الغبار عن المارونية الأصيلة، وعراها من بعض الأفتنة والرقع البالية. المارونية الحقيقية، أو المسيحية

بشكل عام، هي حركة مستدامة تعرف كيف تتجدّد وتتقدّم، من دون أن تسقط في مستنقعات الخدر والجمود والتقليد. دور مارون عبود، تجسّد في هذه التوعية، التي حاول أن يبتّنها في كلّ كتبه، ولو بأسلوب ساخر- قاس أحياناً- يحمل الكثير من النقد والموعظة.

■ ٣. لأنّ مارون عبود آمن بالمسيح، المسيح الذي عاش منذ ألفي سنة؛ إله محبّة وخير، لكلّ الناس، آمن به راعياً ورجل أخلاقٍ وقيم، ورفضه حاكماً طاغيّاً مستبدّاً. يخطئ من يظنّ أنّ مارون عبود كان كافراً. لقد أحبّ المسيح على طريقته، ورفض رجال الدين على طريقته أيضاً. إلاّ أنّه، في كلّ الأحوال، آمن بالإنسان، وما ميّز يوماً بين مسلم ومسيحيّ ودرزيّ، لأنّ الله لا يميّز بين إنسان وآخر.

لهذه الأسباب، أيها الأصدقاء، يلتقي على باب الجامعة جبران خليل جبران بأمين الريحاني، بمارون عبود؛ وثلاثتهم لم يقصّروا فينا، إلاّ أنّ ثلاثتهم كانوا كباراً في الأدب والثورة والدعوة إلى الإصلاح والتحرّر.

نعم، نحن في جامعة سيّدة اللويزة، فخورون بهؤلاء الكبار، ونرفع رؤوسنا بهم.

كما نوّكد، في هذا الزمن الفاسد، أنّنا في حاجة إلى مثل هؤلاء. نحن في حاجة إلى أقلام تشعّ حضارة وحرية.

هنالك أقلام صفراء خبيثة مأجورة تزرع الحقد والتخلّف.

فيا ليتنا نستطيع أن نوقظ مارون عبود اليوم، ليعلمهم أنّ الحرية ليست فوضى، وأنّ التمرد ليس بغضاً، وأنّ الثورة ليست إرهاباً مجنوناً متوحّشاً.



○ وزير الثقافة تمّام سلام اغتنم

المناسبة- الاحتفال بعلم من أعلام لبنان مارون عبود، أبي محمّد، ليقول إنّ الحوار سيستمرّ، ولا بقاء لنا وللبنان واللبنانيين من دون حوار، في الثقافة والاجتماع والفكر والسياسة. فالحوار هو المدمك الأول في ما نطمح إليه دائماً من توافق ومحبة وأخوة واعتدال.

فلبنان، قال صائب سلام، لا يحلّق إلاّ بجناحيه؛ ونحن ومارون عبود نتمسك بهذه المدرسة، ونعمل في كلّ الفرص والمجالات التي تتاح لنا للتأكيد على أنّ ثقافة هذا الوطن، هي ثقافة المحبّة، نعم ثقافة المحبّة والأخوة، ثقافة التآخي المسيحيّ- الإسلاميّ بكلّ معنى الكلمة.

مارون عبود، لا بدّ أنّه كان ذا مأرب وغاية في تسمية محمّد، فأدرك باكراً أنّ لبنان لا يقوم ولا يبقى إلاّ بمسيحييه ومسلميه. وأنا أقول: إذا كنّا نحرص اليوم جميعاً على تحصين هذا الوطن وتعزيزه وتمكينه في مواجهة كلّ المغامرات وكلّ الاعتداءات والاستهدافات، فلن نتمكّن من ذلك إلاّ إذا كنّا موحدّين مسلمين ومسيحيين، على غرار ما تمناه وعمل له مارون عبود، أبو محمّد.

وبمناسبة تسمية الأونسكو بيروت عاصمة عالميّة للكتاب، قال سلام: سنسعى إلى أن يكون كلّ لبنان هذه العاصمة وليس بيروت فقط. ونأمل في أن يكون هناك اهتمام كبير بهذا الحدث من كلّ القطاعات التربويّة والتعليميّة والثقافيّة والفكريّة لإنجاحه.

○ وعن العائلة، كانت كلمة للإعلاميّ الأستاذ

وليد عبود، تناول فيها ثلاثة معاني من معاني التكريم:

المعنى الأول هو أنّ مارون عبود في هذه الجامعة، وهي أولاً امتداد لرهينة ودير، كأنّه يعود إلى حيث يشتهي أن يعود، أو كأنما يشعر بأنّه يعود إلى أهله وبيته، لأنّه يعود إلى الرهبان الذين آمن بدورهم العميق في بناء الكيان اللبنانيّ وتعزيزه.

أمين الريحاني وجبران خليل جبران. ولا شكّ في أنّ مارون عبّود سيرتاح عميقاً في «جيرة» بناء الاستقلال للإمارة ثمّ للجمهورية اللبنانية، وفي جيرة بانّي النهضة الأدبيّة الثانية في لبنان ودنيا العرب، المثبتين دعائم لبنان السياسيّ والموسّعين آفاق لبنان الأدبيّ والثقافيّ والحضاريّ إلى المدى الأوسع والعالم الأشمل والأرحب.

يبقى المعنى الثالث والأخير، وهو مستمدّ من حضور وزير الثقافة الأستاذ تَمّام سلام بيننا اليوم لرفع الستارة عن تمثال مارون عبّود. وعندي أنّ هذا الحضور يثبت مرّةً جديدة الصورة الحقيقيّة للبنان، صورة التّنوّع والتعدّد اللذين هما مصدر الغنى والفرادة، بل مصدر الدور اللبنانيّ الرائد في هذا الشرق. وعندي أيضاً أنّ نفس مارون عبّود هانئة اليوم أنّ ترى البيروتيّ السنّيّ الأصيل تَمّام سلام وهو يرفع الستارة عن وجهه هو ابن الجيل والضيعة المارونيّ، فكأنّ اللبنانيين هنا تعانقوا من جديد في تجسيد حيّ لما كان يقوله ويبشّر به زعيم استقلالليّ آخر كبير هو الرئيس صائب سلام، والد الوزير تَمّام سلام، والذي كان يرّد دائماً أنّ لبنان واحد لا يمكن أبداً ولن يكون أبداً لبنانين.

الأبطال للكفاح والنضال في عهد الاضطهاد والنضال، فيشيدون القرى ويقوّون النفوس الضعيفة فتثبت في ميادين المقاومة... هكذا نشأ الاستقلال اللبنانيّ، بل هكذا كان رهباننا كلّ شيء، فكونوا الوطن الذي نعرفه باسم لبنان». فشكراً لجامعة سيّدة اللوزة، إدارة رهبانيّة برئاسة الأب وليد موسى، لأنّها أعادت مارون عبّود، بعد ناي واغتراب، إلى حيث يحبّ ويشتهي أن يكون.

المعنى الثاني في «جيران» مارون عبّود على مدخل الجامعة. فمن جهة أولى، هناك رموز الاستقلال اللبنانيّ: الأمير فخر الدين والرئيسان بشارة الخوري ورياض الصلح، ومن جهة ثانية هناك رمزا الانتشار اللبنانيّ في العالم الأوسع

صحيح في هذا المجال أنّ مارون عبّود كان ضدّ بعض الممارسات في الكنيسة كمؤسّسة، وفي علاقة هذه المؤسّسة بأبنائها في مراحل معيّنة من التاريخ اللبنانيّ؛ لكنّ هذا الأمر لم يمنعه البتّة من أن يتوقّف ملياً عند الدور الرائد للرهبان في بناء الكيان اللبنانيّ، سياسياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً.

ففي محاضرة له بعنوان «الراهب اللبنانيّ» يقول: «لولا الرهبان والديورة لما وجدت اللغة يوم قهرتها اللغة التركيّة في مكّة... ولولا الراهب والدير لظلتّ الأميّة مسيطرة على الناس... ولولا الرهبان والديورة لما كانت القرى اللبنانيّة، فالدير أصل الضيعة في لبنان. يقوم دير على جبل فيلتنف الناس حوله، وينهض الرهبان



شارل حلو منارة أخرى

مرةً أخرى، تَمضي جامعة سيّدة اللويزة في مشروعها الوطنيّ، ترفع رؤوسَ مشاهير لبنان مناراتٍ هدايةً على أبوابها. والجمعة، في ١٧/٠٢/٢٠٠٩، كان يومَ الرئيس شارل حلو، لا لأنّه رئيسٌ للجمهورية، بل لأنّه أوّلٌ وأخيراً المثقّف الكبير بما أدّى من دورٍ مؤسّسٍ رائدٍ في المنظومة الفرنكوفونيّة العالميّة، وبما خلّف من آثارٍ أدبيّة وفكريّة جلييلة هي محطّ تقديرٍ من القاصي والداني.

هذه المناسبة، تَمّت بحضورٍ وجوهٍ كريمة، تقدّمها ممثّلو كلّ من رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء، والذين جميعاً، وبعد الكلمات ورفع الستارة، أثنوا على النحّات الأستاذ بيار كرم في صنيعة الفنيّ الجميل...



شارل حلو

٢٠٠١/٠١/٠٧ - ١٩١٣/٩/٢٥

- ١٩٥١، نائباً عن بيروت، ووزيراً للخارجيّة.
- ١٩٥٤، وزيراً للعدل والصحة.
- ١٩٥٨، وزيراً للإعلام والتربية.
- ١٩٦٢، رئيساً للمجلس الوطنيّ للسياحة.
- ١٩٦٤، وزيراً للتربية.
- ١٩٤٦ - ١٩٧٠، رئيساً للجمهورية.
- ثمّ انصرف إلى الفرنكوفونيّة والتأليف وعمل المحبّة في الإطار الكنسيّ وخلال الجمعيات الخيريّة. ومن كتبه: Mélanges- Liban cette part de Dieu- Le Liban remord du monde- Nina ou la quête de l'impossible...
- اشتُهر بمقالاته في جريدة Le jour مدافعاً عن الحزب الدستوريّ، في مواجهة مقالات لجورج نقّاش في L'Orient مدافعاً عن الكتلة الوطنيّة.
- ١٩٤٦، أوّل ممثّل للبنان لدى الفاتيكان.
- ١٩٤٨، رئيساً لمكتب الدفاع عن فلسطين في باريس.
- ١٩٤٩، وزيراً للعدل.

○ | بدايةً، الأستاذ سهيل مطر، المدير العامّ للعلاقات العامّة في الجامعة، نقل عن الرئيس حلو قوله مرّداً:

- الموت لا يخيفني، ولكنني أخاف أن أفكر فيه، لهذا ألجأ إلى الصلاة.
- نفسي تعبت من العمر، ولكنّها لم تتعب من حبّ الحياة.
- الزمن نهر هادر، التاريخ سدود. محطات الزمن من صنع الله، أمّا التاريخ فمن صنع البشر.



من أنوار معرفة أخذنا بها وورعناها على الدنيا.

لن يضيرنا ضيق رقعتنا، ما دام لبنان وطن الإنسان، وما دام انتشارنا في العالم كبيراً، لا لنزيد في مساحة الوطن بل في فضائل الإنسان. ولهذا أدعوكم أيها الخريجون، إلى الكثير من التحرك، إلى الكثير من التحرر.

○ | الوزير السابق أ. ميشال إده حياً الجامعة على مبادرتها، وهي ليست الأولى التي تنهض بها؛ ففي مطلع العام ٢٠٠٢ خصّصت حلقة دراسية متعدّدة الجوانب متنوّعة الأصوات، باحثة في الغنى الباهر لهذه الشخصية اللبنانية المتميّزة بصفاء مسيحيّتها، وسعة ثقافتها، وتنوّع قدراتها الإبداعية الفكرية والكتابية الضاربة في العمق، فضلاً عن لبنانيّتها الخفافة.

وأضاف: لقد كان شارل حلو من أبرز رؤساء الجمهورية اللبنانية الذين أدركوا الحقيقة اللبنانية قائمة في تنوّع لبنان الدينيّ وتعدّده الثقافيّ في إطار من تماسك الوطن كياناً ودولة على أساس العيش المشترك، تصونه وتعزّزه الحرية والديمقراطية التي تعني- وقبل أيّ أمر آخر- الحقّ في الاختلاف، واحترام الآخر وقبوله باختلافه.

وتابع: من أجل الصيغة الفريدة هذه، تعالَى شارل حلو فوق المآسي والأحقاد. فليبنان يستحقّ من بنيه أن يعرفوه «قيمة» كونية، وتجربة مجتمعية سوف يعتبرها لاحقاً قداسة الرجل يوحنا بولس الثاني رسالة قدوة للعالم.

نحن في الجامعة، نتذكّره أوّل مدعوّ إلى المشاركة في مجلس أمناء الجامعة في السنة ١٩٨٩، وأوّل خطيب لأوّل حفلة تخرّج نظمناها سنة ١٩٩٠.

ونحن في الرهبانية، نتذكّره رجل الايمان والصلاة، ورجل الفاتيكان في لبنان، وصديق بكركي الدائم، وأمير الوفاق والتلاقي.

ونحن، كلبنانيين، نحفل به رجل الانفتاح البعيد عن كلّ تطرّف وانغلاق. وإذا كان لي أن أنقل عنه، ما قاله في أوّل حفلة تخرّج لطلاب هذه الجامعة، فإنني أكتفي بهذا المقطع من خطبته، أستعيده بمحبة وإيمان:

لنلخص فعل إيماننا بلبنان:

نحن شعب أعطى كثيراً، فعليه الاستمرار في العطاء الكثير لنصمد ونبقى.

نحن شعب عرف الصعاب فما لان، وتوالى عليه العنف فما يئس.

نحن شعب يعرف أن يفيق من سبات، وينهض من كبوة، ويرتفع من وهدة، لأن قوتنا من قوى الروح، وصلابتنا من صلابة العقيدة، وأنوارنا

■ ندرّج لبنان من وطن إلى ساحة ثمّ إلى ورقة، فهل نحن مؤهلون لإعادته إلى مرتبة الوطن كي لا نستمرّ رجالاً يمشون في المستقبل إلى الورا؟

■ ولد لنا وطن، كان ذا مساحة متبدّلة، لكنّه قائم أبداً على تخوم الحرية.

■ الحرية نظام حياة وطريقة عيش، ولهذا لا يمكن مصادرتها أو وضعها في السجن.

■ من كلمة في سعيد عقل: هل نتبادل؟ خذ «الفخامة» وأعطني «كبير شعراء العصر»، وثق أنّي سأكون رابعاً.

○ | وجاء في كلمة رئيس الجامعة الأب وليد موسى

... رزق الله على أيام الرئيس حلو. وكم نشهد له أنّه كان رجل ثقافة وعلم: يكفي أن نتذكّر أن سنة ١٩٦٥، في عهده، جرى اختيار العقارات التي بُنيت عليها الجامعة اللبنانية، في الحدث- الشويفات؛ ويكفي أن نقرأ بعض كتبه، في العربية والفرنسية، لنعرف أيّ عقل مبدع كان يسكن جسد هذا الرجل، وكيف كان يحلّل وصولاً إلى حدّ الفلسفة واللاهوت.



وباسم العائلة، شكر الأستاذ جو الخوري حلو للجامعة مبادرتها، وللاستاذ نعمت جورج افرام دعمه، وللأستاذ بيار كرم صنيعه، مشيرًا إلى أنه يدرك تمامًا بأن هذا النصب التذكري هو تكريم لصاحب الثقافة والعلم والايمان، وهو ما يهّم الجامعة بالدرجة الأولى. وأوضح: منذ نشأته، تميّز الرئيس حلو بعشقه للعلم والأدب، لدرجة أنه اقتضى الحصول على إذن خاصّ يسمح له بتقديم امتحانات البكالوريا عن عمر ١٥ سنة بدلاً من ١٦، وهو العمر الذي كان يفرضه النظام في حينه. وعندما أنهى دروسه الابتدائية، نال من مدرسة القديس يوسف لليسوعيين «جائزة الشرف» في مادة الفلسفة، وخلال دراسته الحقوق في الجامعة اليسوعية، اضطرّ للعمل لتسديد أقساطه وإعالة والدته، فعمل في صحيفة «L'Eclair du Nord» التي كانت تصدر في حلب. وكان الرئيس بشاره الخوري والأستاذ ميشال شيجا يقرأن مقالاته، فتعرّفا عليه، وعيّن المسؤول عن الإدارة السياسية لجريدة Le Jour، وأصبح، بالرغم من صغر سنّه، كاتب الافتتاحيات فيها، ردًا على مقالات الكاتب والصحافي الكبير جورج نقاش في جريدة «L'Orient».

هكذا كان الصراع السياسي بين «الدستور» من جهة، و«الكتلة الوطنية» من جهة أخرى، يتبلور بواسطة القلم، وبموجب مقالات تشبه القطع الأدبية؛ هكذا كانت تترجم الخلافات السياسية: في الأفكار وفي الأدب...!!

ولأنّ سلاح الرئيس حلو كان القلم، فقد كان يستعمله أثناء ولايته الرئاسية للردّ على من كان يتجنّى عليه بصورة مجانية، عن طريق نشر مقالات في جريدة L'Orient بتوقيع xxx.

وتابع: إنّ منشوراته «Mélanges» هي مجموعات من أهمّ مقالاته، حيث يطغى الطابع الأدبي على الطابع السياسي. وكذلك الأمر بالنسبة لذكرياته. حتّى مقالاته السياسية، وخصوصًا خلال فترات العنف التي شهدتها لبنان، فقد كانت أقرب إلى الصلاة والرجاء ممّا من الدخول في زوارب السياسة الضيقة.

ولكن، له أيضًا كتابات محض إنسانية وفلسفية، كالكتاب الذي وضعه في مرض زوجته ورحيلها بعنوان: "Nina ou la quête de l'impossible".

كما له مسرحيات، جاءت على درجة عالية من العمق الانساني.

أمّا عن شارل حلو، رجل الفرنكفونية وأحد مؤسسيها، فاكتفى بالإشارة إلى أنّ عبارة «Le Dialogue des Cultures»، هي له؛ وإلى أنّ الجائزة التي أنشأتها المنظومة لتتويج أفضل إبداع فرنكفوني حملت اسمه.

ولم يفته التذكير بأنّ مطاعم المحبّة كانت هاجسه، قائلاً: «أمضي وقتي في الشحادة»؛ وأنّه كان رئيسًا فخريًا لمحطة Télé Lumière.



حكم قرقوش على مسرح الجامعة

أنتجت المنشآت السمعية البصرية في كلية الانسانيات مسرحية حكم قرقوش من تأليف د. منصور عيد وإخراج أ. سام لحدود وبطولة الفنان القدير منير كسرواني الذي أضحك حتى الدمع.

أما قرقوش فمن هو؟

هو بهاء الدين أبو سعيد قرقوش بن عبدالله الأسدي، المتوفى سنة ١٢٠١. كان خادماً لصلاح الدين. ولما حرره جعله أولاً من مساعديه في القصر، ثم أنابه على الديار المصرية، وسلمه تالياً ولاية عكا. ويُنسب إليه بناء سور القاهرة وقاعة الجبل والقناطر في الجزيرة، وأحكام عجيبة غريبة باتت مضرب مثل فصار يُقال: مثل حكم قرقوش. فقد كان مزاجياً مفاجئاً في أحكامه، يرسلها عشوائياً بلا سند ولا معيار.

والعمل المسرحي الذي جرى، وكان ميدان خبرة للطلاب ومثار إعجاب لدى مشاهديه، فجسد خير تجسيد تلك المزاجية التي تتحكم بقرقوش وبأمثاله من الحكام القرقوشيين، الذي يُضحكون ساعة ويُبكون ساعة يضحكون...

وللمناسبة، كم بتنا نفتقد إلى المسرح المسرح!!



شباب الغد

○ | مازن القاضي وجيسيكا مفوض
علاقات دولية دبلوماسية

شرائح المجتمع كله.
مشروع المصالحة الثقافية بين
الشباب اللبناني هو مشروع لا
يقتصر على إكساب الطلاب
معلومات جديدة فحسب، بل يعمل
على توثيق العلاقة بينهم أجمعين.
وفي نهاية اليوم الأخير من الورشة،
تمنيّا لو أنّ هذا الحلم لا ينتهي، فلا
نضطرّ للافتراق؛ وتساءلنا عن
إمكانية ترجمة هذا الحلم إلى
خطوات عملية تجمع الشباب تحت
راية الوطن الواحد بعيداً عن
زوارب التعصب الديني لئلا يبقى
ذكرى جميلة لجدران شهدت ولادة
لبنان الرسالة.

سئم العنف والإرهاب ويصبو للعيش بسلام
وحرية.
في اليوم الأول، انقسم الطلاب إلى خمس
مجموعات شملت شبّانا وشابات من مختلف
الديانات ساروا جنباً إلى جنب في هذا
المشروع، فدخلوا قاعات الحوار حيث طغى
جوّ من الطمأنينة وشعور بالانتماء. كان الكلّ
مستعداً لتقبّل الآخر من دون شرط، وكان
عطشٌ للتعرف إلى الشريك في الوطن...
عندما دخلنا إلى الأوتيل، اعتقدنا أننا هنا
لتضييع الوقت، ولم نتخيّل أننا سنتعرّف إلى
شباب ديناميين ومندفعين. لم نتصوّر
شخصاً يقول «أنا منغلق بس حابب إتغير...» أو
مسلم يقول «إذا صار لبنان دولة إسلامية أنا
بضلّ قبل المسيحي».
إنهم شبّان وشابات خرجوا من زوارب
السياسة الضيقة في محاولةٍ لخلق اتصال بين

بعد ورشتي عمل في بيروت والشمال، أعدت
منظمة الأونسكو بالتعاون مع المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم، ورشة عمل في
منطقة جبل لبنان، ضمّت طلاباً من مختلف
الجامعات.
شملت الورشة ٥ محاور: الأول دار على حلّ
النزاعات ومهارات التفاوض، والثاني على
عمل الفريق والخدمة المجتمعية، والثالث على
المواطنة، والرابع على موضوع المظاهر
الثقافية للديانات، أما الخامس فسُلط الضوء
على مهارات التواصل.
جرت ورشة العمل يومي ٧ و٨ آذار في أوتيل
روتانا الحازمية. والملفت فيها التنوع الطائفي
والحزبي، الذي لم يقتصر على المشاركين، بل
تخطاهم إلى المدرّسين.
هذان اليومان أغنيانا بالمعلومات، وكسرا
حواجر ومخاوف عندنا، وأظهرنا أنّ هناك جيلاً

عيد الأم في عيد البشارة



رُبَّ صدفةٍ خيرٍ من ألفٍ ميعاد!

ففي عيد البشارة، كان الاحتفالُ
بعيدِ الأمِّ. وهل ما هو أكثرُ بهجةً
وقدسيّةً؟

الأمّهاتُ في الجامعة معلّماتُ
وموظّفاتُ وطالباتُ أيضًا، كان
العيدُ بهنّ ولهنّ، ولسنين عديدة
بنعمةِ الله!

جومانا مدوّر أنشدت غناءً،
ورودي رحمه أنشد شعراً،
وسهيل مطر أنشد وجدانَ
الحنين، والأب الرئيس وليد
موسى رعى واحتضن.

ثمّ كانت هدايا تذكاريّة ونخبٍ
وتمنيات...

من حصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

Saint Barbara's night مشكّل أكسترا

نظّم العمل الرعويّ الجامعيّ NDU عشاءً وحفلاً تنكّرياً بمناسبة عيد القديسة الشهيدة بربارة تحت عنوان «مشكّل أكسترا». حضر هذا الاحتفال بحدود ٦٠ شابّة وشابّ من الجامعة: أعضاء في العمل الرعويّ ورفاقهم، تشاركوا البهجة والفرح.

Charity tree

حاول أعضاء العمل الرعويّ الجامعيّ NDU تلبية بعض من رغبات أطفال الـ SOS بحرصاف الماديّة والمعنويّة، فزاروا هؤلاء الأطفال واستعلموا عنها وعلّقوها على شجرة الميلاد، فإذا كلّ ما يلبي يوضع هدبةً للطفل يسوع الذي قال: «كلّ ما فعلتموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار فلي قد فعلتموه».



Noel project | □



بمناسبة عيد الميلاد قرّر العمل الرعوي الجامعي NDU مشاركة العمّال في الجامعة والأطفال الذين يفتقدون إلى الحنان الوالديّ في فرح العيد. ولتشجيع مشاركة الطلاب وضعت شجرة في وسط الحرم علّقت فيها أوراق كتبت عليها أسماء الهدايا المنوي تقديمها، أقبل عدد كبير من الطلاب على سحبها وشراء الهدايا المعيّنة فيها.

وفي ٢٣/١٢/٢٠٠٨ افتتحت الجامعة بأسرها النهار بالذبيحة الإلهيّة، ثمّ كانت اللقطة تجاه العمّال حيث تشاركنا الغداء والرقص والغناء، ما كان له أثر كبير في قلوب الجميع. وقد طال هذا اللقاء إلى حين وصول الأولاد، فكان لقاء آخر معهم في الكنيسة حيث قدّموا الأغاني والأناشيد الميلاديّة.

وعند انتهاء هذا الحفل الصغير انتقلنا إلى حفل كبير في مطعم البالكوني جعيتا، الذي قدّم صاحبه ومجاناً طبقاً كاملاً لكلّ منّا، وزعنا خلاله الهدايا على الأطفال وسط الفرح الغامر.

Christmas spiritual retreat | □

قام العمل الرعوي الجامعي NDU بتنظيم رياضته الروحيّة الميلاديّة السنويّة نهاري السبت والأحد ٢٠ - ٢١ كانون الأوّل ٢٠٠٨، شارك فيها ٥٠ شابّاً وشابّة من أعضائه الحاليين والمتخرّجين.



Zgharta Trip | □

وللترفيه وتوثيق العلاقات، نظّم أعضاء العمل الرعوي الجامعي NDU رحلة إلى زغرتا. افتتح النهار بقّداس في زيارة. وبالانتقال إلى زغرتا، وبالتحديد إلى مدرسة الأنطونيّة، ركبنا الخيل، فكانت لنا تجربة جديدة مختلفة. وتناولنا الغداء في مطعم «النهر» حيث استمتعنا أيضًا بالغناء والرقص.

□ | سهرة صلاة بمناسبة عيد الحبل بلا دنس

نظّم العمل الرعوي الجامعي NDU سهرة صلاة مريميّة تكريمًا لوالدة الإله أمّنا مريم العذراء بمناسبة عيد الحبل بلا دنس في ٧ كانون الأوّل ٢٠٠٨، تحت عنوان «مما أعطانا نعطيك». تضمّنت هذه السهرة الروحيّة صلاة المسبحة مع تأملات، وتميّزت بظهور مواهب فنيّة عديدة...



□ | قدّاس الميلاد

قام العمل الرعوي الجامعي NDU بتنظيم وخدمة قدّاس الميلاد السنويّ في الجامعة الذي احتفل به آباء الجامعة وشارك فيه جمعٌ من أسرته.

□ | يوم الكعك

في خلال زمن الصوم المبارك، نظّم العمل الرعوي الجامعي NDU في cafeteria الجامعة بيع كعك عربيّ مع زعتر وجبنة وشوكولا، بهدف تغذية الصندوق.



منصور الرحباني

١٩٢٥-١٣ ك ٢٠٠٩

- في لبنان، على كبريات المدن العربيّة والأوروبيّة والأميريكيّة، مسجّلة أعلى درجات التقدير والإعجاب.
- من أعمالهما المسرحيّة: أيّام فخر الدين- جبال الصوّان- ناطورة المفاتيح- قصيدة حبّ- المحطّة- صحّ النوم...
- ولهما أفلام سينمائيّة: بيّاع الخواتم- سفر برلك- بنت الحارس...
- ويوم انطلق تلفزيون لبنان، كانت لهما مساهماتٌ برامجيّة: من يوم ليوم...
- الأخوان رحباني كتبوا وغنّوا للوطن والأرض والتاريخ والمستقبل والفقراء والبسطاء.. وللحبّ، وكان لنا منهما وطن لا يشبه إلاّ أحلامهما الجميلة والعظيمة.. أحلام «أهل الأرض وهنّي ترابا» ولم تفتهما مناصرة القضايا العربيّة، وعلّتها القضية الفلسطينيّة: زهرة المدائن- سنرجع يوماً- جسر العودة...
- ويوم غاب عاصي سنة ١٩٨٦، استمرّ منصور في الإنتاج، يكتب الشعر ويقدم المسرحيات: صيف ٨٤٠- الوصيّة- ملوك الطوائف- المتنبّي- حكم الرعيان- سقراط- النبيّ- زنوبيا- عودة طائر الفينيق؛
- وسافر ملكاً... وفي مصرفِ الفنون منه وديعة: غدي ومروان وأسامة.

- والده حنّ الياس رحباني، من أنطلياس، قضاء المتن.
- تَسْتَفَادُ حَالُ طفولته من قوله: تشرّدنا في منازل البؤس كثيراً. سكّنا بيوتاً ليست بيوت. هذه هي طفولتنا.
- انخرط في سلك الشرطة اللبنانيّة، قبل أن يدخل إذاعة الشرق، ثمّ الإذاعة اللبنانيّة سنة ١٩٤٥، مع أخيه عاصي، خلال سنوات من الدراسة الموسيقيّة شرقيّة وغربيّة.
- في الإذاعة اللبنانيّة اشتهرا باسكتشات «سبع ومخول». وفي هذه الإذاعة تعرّف عاصي بنهاد حدّاد، التي صارت تُعرف بفيروز، وتزوّجا سنة ١٩٥٥؛ فبدأ عصر الثلاثي الرحبانيّ: عاصي ومنصور وفيروز. وهو العصر الذهبيّ في تاريخ الأغنية اللبنانيّة والعربيّة: عصر التجديد شكلاً ومضموناً وأداءً وتوقيماً وتوفيقاً بين روح لبنان وتيارات الشرق والغرب...
- بين ١٩٥٧ و١٩٨١، كتب حوالي ٢٧ مسرحيّة غنائيّة، تقدّمت بطولاتها فيروز. بل لهما مئات الأغنيات لفيروز وسواها كوديع الصافي وصباح ونصري شمس الدين... وتعاونوا مع فيلمون وهبي وزكي ناصيف ووليد غلميّة... وكان لهما صحبة رأي مشورة كسعيد عقل وعبدالله بشاره الخوري...
- وجالت أعمالهما، فضلاً عن بعلبك والأرز والبيكادلي





منصور السنديانة

○ | أمين ألبرت الريحاني

ذاك الذي يخرج من الأفران بنكهة مجبولة بالطيب والاطر ورّي القرنفل. وهي اجتماعياً تكبّد مشقة الصعود للوصول إلى قمة تريك خصال الناس وميزاتهم وعبوبهم لتبني من مشاهداتك عمارة لأحاسيس الإنسان وميوله ونزواته. وهي إنسانياً لوحات للحبّ والحنان، وريشة ملونة لإكسير الزمان. استطاع منصور الرحباني أن ينتقل من السكتش الخفيف والمونولوج الطريف إلى أعلى مستويات المسرح الغنائي الثري بعروضه ولوحاته وموسيقاه ومعالجاته الإنسانية والتاريخية العامة، في إسقاطات محلية معاصرة تُغني المعنى، وتنفض فيه أبعاداً مستلة من صميم الحاضر ومن توقّعات الأيام الآتية.

وقبل أن يكون منصور وردة باسمة أو زنبقة نقيّة تراه شلحاً قاسياً من سنديانة تفرش ظلها فوق الظلال لتمتد جذورها تحت تربة حمراء تحفظ بذاراً للزارعين ليوم شقيّ حزين أو لغد حالم لا يستكين.

كيف أكمل منصور درب الإبداع الرحبانيّ؟ كيف رسّخ المعالم؟ وعلى الصوت؟ ولوّن الزوايا؟ واسترسل في لبننة الميوزيكال المسرحي؟ أسئلة تحاول تحديد إطار الهوية الفنيّة التي أعطت لمنصور حضوره والمكانة المميّزة. أعتقد أن صاحب «سقراط» و«المتنبّي» تفرّد في بناء عرش للكلمة التي شكّلت لب أعماله المسرحيّة الممهّدة لأعماله الشعريّة. وأعتقد أن الرجل في بناء هذا العرش تنبّه لمسألتين رئيسيتين: أولاهما أن الكلمة مفتاح كلّ الفنون، هي مفتاح الموسيقى والغناء والتمثيل والإخراج المسرحيّ وما يدور حولها من فنون تفصيليّة وجانبيّة؛ وثانيهما أن الكلمة مفتاح لبنان، مفتاح الوطن الذي أعاد الرحابنة هندسته من جديد، لا كما هو بل كما نجبه أن يكون.

من «سبع ومخول» إلى «عودة الفينيق» رحلة طويلة وشاقّة. هي فنياً تحوّل لافت من الخبز «الحاف» إلى «كريم كاراميل»، من العجين المجبول بعرق الجبين إلى



ليكن ذكرك أبداً

○ | د. نبال الأميوني

ماذا من بعدك يا رحبانيّ؟ هل يوضّب لبنان حقائبه ويرحل بعيداً عن بيوت العنكبوت؟ ما بال هذا الصباح يولد بغيرك؟ ما بال الشوارع تعدّ نحل الورق الأصفر؟ سترجع يوماً... سترجع ترمّم عمر الشبايبك والأبواب ومفارق المقاهي... وتجدلّ الشعر الأشقر مع نواظير الثلج...

ضيفتنا لبنان الحلم وعبرت الجسر. لماذا تغيّرت في لحظة وفي برهة الضوء؟

برحيلك، اختنق اللحن بدمعة الوتر الذي امتدّ على أفق

جبل منصور الرحبانيّ قلمه من تراب لبنان ورحل.

يا ابن الشرق القديم، المثلّس شهوة الحزن في عيون الضعفاء، أهرب من وجهي بعد رحيلك وأخجل من أمّتي التي قدّمتك ذبيحة أمام هياكل الأصنام، وأنكرتك عند صياح كلّ ديك، وسلّمتك لمن خانوا الحقّ؛ يا من خيلت في ميدان الكلمة كفارس برّاً شعبه من الساقطين!

منك نعتذر عنهم. نندبك كما نندب عشّار وزوس وأفروديت، فلا تنم نوم الأموات الهاربين من ضجيج العمر.

الصدى. نرف الفجر، وتوقّف زمن الإيقاع، وتكسّرت سفن أوجاعي رقصة عطرٍ في نبض البيلسان.

يا أيّها العابر... لحظة من فضلك! هل تركت لنا صباح أصابع وعكازك وفانوسك المئكئ؟ فنحن نخاف القبور المظلمة، ونبلل هزائمتنا بماء الليل وسكونه. إحذر رائحة النوم العميق، والأرض التي تشرب آخر الزغاريد من قم النبع...

برحيلك تساقطت وجوهنا سراباً يملأ الروح، وتجمهر الموج حول سلال النوافذ المغلقة، وخلعت الكرمة رحلة المطر.

ماذا من بعدك يا رحباني؟ هل تنتهي الدروب والثلال... والقمر؟

يتجمهر السواد من حولي في خيمة العتمات وضجيج الغبار... يجول في خاطري تربة الريح وجسد الوحشة

وحطام النجوم. دغ حصانك للجداول كي يرتوي جرح العارفين على شرفة الأزل!

شهيد أنت! اغتيل نوم العابر نحو القيامة... طيب أنت. كأن أصابع كفك مرافئ للريح، تعلق فوق عتبته انكسار الوطن أيقونة رحبانية.

انهض يا نائماً مع تصاعد البخور في الهياكل. لا وطن لنا الآن، ولا نسمة تجيء لنا من جبل الغربية. أرفقتنا مشرعة للرحيل. ليس لدينا من بعدك سوى ذاكرة مغرومة الأطراف، تتربّع فيها أحلامك، وتلاعبنا عند ضفة العشق المجدول بحوريات ترابك الجميل.

بالله عليك، لا ترتكب سفراً جديداً ترحل فيه عن خيوط أحلامنا الطالعة من حدود الغياب. تجرنا عربات الحنين نحوك، وأنت تحرس الزهر الواعي حول القبر. صمتك مذبة سوسنة القلق الأخير ولهيب ذاكرة النار. زرعت أهداب القمر وسنابل الأفق على الجدران الموشحة بخيوط صوت الرماد. ما أضيّق العيش بدونك. إنا نحبّ غيمك الهارب من جليد الكلام. ينشف الحبر عند حطام شرفة الدقائق وينهمر الزمان بطاقة تعزية.

غفوت في بال العتمة على راحتني صدى الحكايا. بالله عليك، مدّ أصابعك ولأمس الدفاء ببرّد خرافة الليل الطويل. يا من غسلت زهر اللوز البري في نيسان الذكريات.

بالله عليك، حاصر الشتاء الطويل وألفه باب الشمس، المفاتيح في المدى...

يا ليت سنديانة ضيعتك تفتح غابة الثلج، فنرسم على جبينك الموعد الآخر ونمسخ غبار العزلة عنّا.

لم ترحل منفرداً في سفينة الضباب. ما أضيّق البحر بالمسافرين من شاطئك، وأمامك طوفان الأيام مسرحاً يخيط عرى أيماننا الآتية، فنستريح مع الصباح المكمل بنغم البداية.

أنت باقي لأنك رحباني. أراك عابراً بين حبيبات المطر، تعشعش في رحيق طوباوي النغمات.

ليكن ذكرك أبداً... مجدنا أننا تفيّنا بظلك وعاصي وفيروز على الدروب...

○ | صلاح مطر

الفينيقي الذي غاب! (١)



فاستدمع الإبداع في الألحان! وفنونه، تبكي فتى الفتيان في لحنه يبكي على الإنسان والغزو لم يتعب من الإدمان وشراسة في الفتك بالشبان! أطفالها: فالموت كل مكان!

وضمير كون مات في النسيان! يا خجلة التاريخ من خذلان! من نجده المصدوم للسودان... قد ردتها لرسالة الفئان! وجد الذي سيظل في الوجدان!

منصور، رحت لرحمة الرحمن لبنان من بحر المدى حتى الذرى والقدس تسفح دمعين على الذي في غرة، تعب الردى من دمها قتلاً وسحلاً فالحريق مدى المدى والأمهات حملن فوق ظهورها

نهر يسيل من الدماء على الربى حتى الأقارب ما نفوا خذلانهم والعالم العربي لواء أسود والعالمية أدمعت باسم الوفا والعبقرية راعها أن ينتهي

وقصائدٍ تبقى مدى الأزمان!
حملَ السفوحَ إلى ذرى اللمعانِ
وعلى اليراعة وهو في الأكفانِ
وأسلتَ للبدّاعِ نهرَ معاني!
أن يتركوا للقبرِ بعضَ بيان!

... خلّدتَ لبنانًا بلحنِ خالدٍ
كالنسر، عاينَ قبلُ، بؤسَ سفوحِهِ
ومضى، الجفونُ على شفا لبنانِهِ
سافرتَ وحدك، كالملوكِ^(٢)، مغنيًا
والمجدُ في وهجِ الرجالِ إذا انتهوا

جبران والعبّود والبستاني
وشفيقَ والمطرانَ، والريحاني..
فيهيّبُ بالأبطالِ في الميدانِ
وسوامقَ الأحلامِ في الأوطانِ
فجيشنا ينقضُ كالبركانِ!
«لبناننا كجباله الصوّان»^(٥)!
لم يحنّها يوماً سوى الديّانِ!
لبنانُ ميّزةٌ على البلدانِ!

يستقبلونك في السماءِ جماعةً :
وبشارةٍ وأميئةً، نسرا الحمى
أمّا الذي غنيّته ملءَ الفضاءِ^(٣)
لتحيّةٍ تحيي الحماسَ وعنجرًا
منصورٌ، قد ذكرتنا بالعنجرات،
سلّم على «عاصي» وقلّ لكلامه^(٤) :
فجباهنّا مثلَ الجبالِ عليّةٍ
سبحَ لربّك في السماءِ مرتلاً:

ورؤى السعيدِ^(٦) ودوحةَ الرحبانِ..
فترابُه نحميه كالأسدانِ
رفضوا، بحدّ السيفِ، عيشَ هوانِ
بقيامةِ الرّوادِ والفرسانِ،
رمزَ العلى كالأرزِ في لبنان!

قانا، جمعيتا، بعلمك، وأرزنا
نمّ في ثرى لبنان تُغن ترابَهُ
كجدودنا، ماتوا وقوقاً في الوغى..
حتى تعودَ إليه مع فينيقه^(٧)
تبقى ببديعك رائدًا متعدّدًا:



(١) في رثاء الفنّان الكبير المغفور له «منصور الرحباني».

(٢) إشارة إلى أحد دواوينه.

(٣) فخر الدين.

(٤) إشارة إلى قول عاصي: «قبل ما تروحي معو، روجي معو» ولادك اززعين بالوعر أرز وسنديان وقوليلهن لبنان بعد الله يعيدو لبنان.

(٥) إشارة إلى مسرحيته.

(٦) سعيد عقل.

(٧) إشارة إلى مسرحيته: «عودة الفينيق».



بناء الدولة في لبنان - تابع

منذ ٢٠٠٨/١١/٦، موعِدِ جلسة الافتتاح برعاية رئيس الجمهورية اللبنانية العماد ميشال سليمان، وجامعة سيّدة اللبيزة تدعو والمركز العربيّ لتطوير حكم القانون والنزاهة ونشرت الـ NDU Spirit ملخصاتٍ ومقتطفاتٍ عن الثلاثة الأولى منها في عددها السابق الرقم ٤٤، وقد حملت العناوين: حكم القانون والنزاهة- تكوين الدولة اللبنانية- الدولة المدنيّة؛ وهي في هذا العدد تقدّم صورة عن الندوات السبع التي تلت وانتهت في ٢٠٠٩/٢/٥.



وقد أدارها د. زهير شُكر، وحاضر فيها د. عصام سليمان ود. سليم الصايغ والمحامي سليمان تقيّ الدين والقاضي عبّاس الحلبي.



الندوة الرابعة دارت حول: الدولة الفيدرالية، في ٢٠٠٨/١٢/١١

إداريّة موسّعة كمؤسّسة ضامنة للتوازن بين الدولة المركزيّة الموحّدة والإقليميّة، أي حقّ المناطق والطوائف والمواطن في المشاركة في إدارة شؤونهم الذاتيّة. وانتهى إلى القول بأنّ الطائفية في المجتمع غير موجودة إلاّ في بعض المؤسّسات، وبأنّ الفدراليّة الكلاسيكيّة أقلّ نجمها، فليس بالتالي إلاّ اللاحصريّة أو مركزيّة التخطيط ولامركزيّة التنفيد.

رئيس الندوة الدكتور زهير شُكر، عرض، من خلال مخطّط عام، لأبرز العناوين التي يندرج تحتها مفهوم الفدراليّة من تعريف نشأة ونماذج وعناصر...، معتبراً أنّها عائق أمام إرادة تطبيق الطائف وتحقيق الدمج الوطنيّ والتمثيل السياسيّ اللائق وبناء الدولة المدنيّة الديمقراطيّة. ورأى أنّ للانتخاب النسبيّ دوراً في الدفع باتجاه تيارات سياسيّة معتدلة تتجاوز الطائفية، ودعا إلى لامركزيّة





السلطة، وتحصّن فيها الطوائف بكيانات دستورية، وتزداد فيها إمكانيات الصراع بين سلطات الحكم الذاتي والسلطة الفيدرالية بسبب تعقيد آليات النظام الفيدرالي. كما أنّ الصراعات تعصف بالسلطة الفيدرالية نفسها بسبب السياستين الخارجية والدفاعية، في وضع جيواستراتيجي تحكمه التجاذبات الحادة. فالفيدرالية هروب إلى الأمام وسقوط في الهاوية، والحلّ يكمن في العمل على عقلنة النظام السياسي اللبناني وتطوير تجربة لبنان الديمقراطيّة.

الدكتور سليم الصايغ، وتحت عنوان:

الصراع على السلطة والمحاصصة الطائفية، اعتبر أنّ الصراع على السلطة هو نتيجة لغياب مشروع وطني اندماجي، يطرح آفاقاً مستقبلية أمام الأجيال الصاعدة وأمام النخب السياسية



والاجتماعية، فيصبح الصراع على السلطة بالتالي رديفاً هشاً لقضية بناء الوطن والمواطن، التي ما زالت في لبنان في أوائلها.

وأضاف إنّ إشكالية الصراع على السلطة هي في صلب العملية الديمقراطية العادية في بلدان ترسّخ فيها الاستقرار الاجتماعي، وحُسمت فيها في الواقع المعيشة قضية الولاء المطلق للوطن. أمّا في لبنان فيبدو المشروع الكياني في مأزق دائم، والنظام في تعطيل دائم، والجماعات المكوّنة للمجتمع في قلق دائم.

وبالتالي، قال: تبدو مسألة الصراع على

أما شروط قيام الفيدرالية في مجتمع تعدديّ فتتلخّص، في رأيه، بالتالي:

تمركز الطوائف في مناطق محدّدة جغرافياً، وحسّ مدنيّ متطوّر؛ وروح تعاون ببناء وصادق؛ وعلاقة ثقة متبادلة؛ ووجود مصالح مشتركة، وبخاصّة على الصعيد الاقتصادي؛ وتوافق تامّ على السياسة الخارجية والدفاعية لكونهما من اختصاص السلطة الفيدرالية حصراً.

هل تصلح الفيدرالية للبنان؟- سأل الدكتور سليمان.

وأجاب: الشرط الجغرافي غير متوافر بسبب التداخل السكانيّ وعدم تمركز الطوائف في مناطق محدّدة. والشرط النفسيّ المعبر عنه بالحسّ المدنيّ غير متوافر أيضاً. وإذا ما توافر حسّ مدنيّ ديمقراطيّ وثقة متبادلة، تحلّ المشكلة في إطار صيغة الحكم الحالية، ولا يعود ثمة حاجة للفيدرالية.

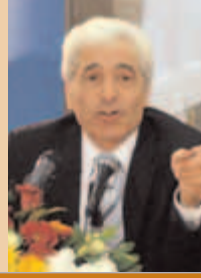
والشرط السياسيّ غير متوافر بسبب الخلاف على السياستين الخارجية والدفاعية في ظلّ الاستقطابات الخارجية والصراع العربيّ الصهيونيّ. وإذا تمّ التوافق على هاتين السياستين، فلا يعود ثمة حاجة للحلّ الفيدراليّ.

ثمّ قال: إذا ما اعتمدت الفيدرالية، رغم عدم توافر شروط نجاحها في لبنان، فإنّ الصراعات والتجاذبات التي تتغذى من الخارج سوف تؤدّي إلى تفكك الدولة اللبنانية، لأنّ القوّة التدميرية الناجمة عن الصراعات الداخلية تصبح أقدر على التفكك بها، وذلك بسبب بنية الدولة الفيدرالية التي تتشكّلت فيها

وتحت عنوان: أسس

الفيدرالية وشروط قيامها، رأى الدكتور عصام سليمان أنّ بنية المجتمع اللبنانيّ التعدديّة، والصعوبات التي يواجهها نظامه السياسيّ، وتفجّر الأوضاع في أوقات الشدّة، تحمل البعض على التفكير في الفيدرالية كحلّ، كونها تضمن التنوّع في الوحدة، من خلال حكم المناطق ذاتياً ومشاركتها في حكم الدولة الفيدرالية. غير أنّ الشروط الواجب توافرها لقيام الفيدرالية وتعقيدات عمل النظام الفيدراليّ، تستدعي البحث في مدى ملائمة الفيدرالية للواقع اللبنانيّ.

وأضاف: الدولة الفيدرالية دولة مركّبة تتمتع فيها المناطق بحكم ذاتي، قوامه: دستور محليّ، وسلطة محليةّ مكوّنة من السلطات التشريعيّة والتنفيذية والقضائية. تتحد مناطق الحكم الذاتيّ بدولة فيدرالية لها دستورها الذي يقيم سلطة فيدرالية تشريعية وتنفيذية وقضائية، تنحصر فيها كلّ الصلاحيّات المتعلقة بالسياسة الخارجية والدفاعية والنقدية. ولا يجوز أن تتعارض دساتير مناطق الحكم الذاتيّ مع الدستور الفيدراليّ. وللقضاء الفيدراليّ أهميّة كبرى، فهو الجهة المولجة بحلّ النزاعات بين السلطات المحلية والسلطة الفيدرالية.



معاكسًا مع الحرب الأهلية. عمليًا، بدأنا مسارًا لتكوين جغرافيا بشرية للنظام الطائفي، وانتقلنا من الفيدرالية الشخصية إلى بلورة ملامح حادة في بعض المناطق للفيدرالية الجغرافية.

إلا أن هذا المسار لم يكتمل، وجاء اتفاق «الطائف» يدعو إلى إعادة الحال إلى كان عليه من قبل: في عودة المهجرين، وفي اعتماد نظام انتخابي يراعي قواعد العيش المشترك. لكن السياسات التي جرى اعتمادها بعد ذلك «الاتفاق» سارت في اتجاه تصليب وتقوية الطابع الطائفي التحاصصي.

ورغم الحرص المعلن والظاهر على التمسك بالنظام وبالصيغة وباتفاق الطائف، فإن اليوميات السياسية تدلّ على حجم كبير من الاعتراضات. بل إن النظام، لكي يخرج من أزماته ليس الدوريّة فقط، بل المستمرة، ذهب في اتجاه تعطيل المفاعيل الديمقراطية، وتخلّى عن قاعدة الأكثرية والأقلية لمصلحة النفاق بين القوى: «الديمقراطية التوافقية». عمليًا، انتقلنا من النظام الديمقراطي البسيط إلى الفيدرالية الطائفية شبه الرسمية. ولا يخفى كم يؤثر ذلك على مسيرة الحكم من حيث عرقلة وتعطيله لفاعلية السلطة التنفيذية. لكن هذا المنحى بات حتميًا في معالجة الأزمات السياسية الكبرى، خاصة تلك التي تتعلق بخيارات إستراتيجية تمسّ هوية الدولة وموقعها ودورها في النظام الإقليمي. غير أن ذلك لا يقتصر على توزيع السلطة السياسية ليؤمن ما يطلق عليه في لبنان «المشاركة» ضمانًا لتعاضد الجماعات وتآلفها، بل هو نظام من توزيع الامتيازات والحرمانات على الجماعات وعلى المواطنين. فهو بهذا المعنى نظام من الزبائنية السياسية يقوم على

وتحت عنوان: إدارة التنوع اللبناني، اعتبر المحامي سليمان تقي الدين أن لبنان ينفرد بنظامه الطائفي، الذي يجعل من الجماعات الدينية والمذهبية مؤسسات سياسية، موضحًا: لقد نشأت فكرة هذا النظام أصلًا لضمان مشاركة الأقليات في متصرفية الجبل، حيث لم يكن من خيار آخر غير خيار النسبية الطائفية. طوّر الانتداب هذا النظام لمقتضيات إدماج المناطق والطوائف الملحقة بجبل لبنان، التي تشكل منها كيان لبنان الكبير. لكن النصّ على طائفية النظام جاء في مادّة وحيدة من الدستور وفي جملة معترضة كي تضمّن الجماعات هذه إلى مشاركتها في الدولة الجديدة. غير أن الأعراف والتقاليد الدستورية والسياسية سارت في اتجاه تعميق البنية الطائفية وشمولها مختلف مناحي عمل الدولة والمؤسسات.

وأضاف: صارت المحاصصة الطائفية نوعًا من الآليات الثابتة والمستقرة، وتجاوزت المراتب السياسية والإدارية إلى توزيع ميزانية الدولة والخدمات. وتوسّعت هذه المفاعيل تدريجيًا بالتوازي مع موازين القوى السياسية الطائفية. فحيث لم تكن الإدارات الرسمية قادرة على تلبية هذا التطلّب الطائفي، نشأت إدارات رديفة وموازية لتأمين تقاسم السلطة ومنافعها.

وتابع: نظر المفكّر اللبناني ميشال شيحا إلى الصيغة اللبنانية في نشأتها على أنها ضرب من «فيدرالية شخصية»، لأنها أتاحت حريّات واسعة للجماعات، خاصة على صعيد الأحوال الشخصية والتعليم الخاص والديني. لكن الاتجاه التاريخي للاندماج الوطني في بنية واحدة، والذي شهد أعلى درجات تطوره في سبعينيات القرن الماضي، شهد اتجاهًا

السلطة صراعًا على الوجود، وتأخذ من ثمّ بعدًا مقدّسًا يتخطى اللعبة الدستورية، فثروّض المؤسسات وتسخّر القوانين، فيتغلّب دائمًا: العرف على المكتوب، والتقليد على الحدأة، والعادة على الرؤيا.

مأزق المحاصصة في لبنان- أضاف: هو مأزق طائفيّ ببعده الاجتماعي، ومأزق الهوية ببعده الثقافي. وبالتالي، فإن معالجة إشكالية الصراع على السلطة والمحاصصة الطائفية تتطلّب مقارنة تستدعي الولوج إلى عمق المسألة، إذ:

١. إنّ المعالجات الوظيفية وحدها لا تكفي، بل المطلوب مقارنة سياسية عميقة، تعيد

٢. إنتاج جوهر الميثاق الوطني اللبناني، وتغني النظام اللبناني بمقومات الحدأة، و

٣. تقوي السلطة المركزية حيث يجب، وتنشئ وتفعل السلطات اللامركزية كتعبير عن التعددية الاجتماعية والسياسية والثقافية اللبنانية.



يطرح موضوع قانون انتخاب دائم، يتضمن إصلاحات جذرية.

ولا تستقيم الدولة بدون إصلاح قضائي بما يضمن المساءلة والمحاسبة ووقف الفساد والزيائية وضمان حقوق المواطن تجاه الدولة والمسؤول.

وبالنسبة إلى موقع لبنان في المنطقة، فيدخل ضمن إطاره علاقاته مع الخارج ولاسيما سوريا، وعملية الصراع العربي الإسرائيلي وكيفية حل إشكالية الوجود الفلسطيني فيه وما اصطلح على تسميته الاستراتيجية الدفاعية للدولة وللوطن، وما تحفل به المنطقة من الصراعات المذهبية والإثنية والدولية، والتي على لبنان أن يحدّد دوره إزاءها جميعها.

ولعلّ اتفاق الطائف والتعديلات الدستورية أوتحت بحلّ لجميع هذه القضايا الخلافية؛ إلا أنّ التطبيق حول لبنان وكيانه إلى وجهة نظر وإلى حالة مستمرة من عدم الاستقرار.

وقال الحلبي: على اللبنانيين الاختيار: فإمّا الحوار بغية الإتفاق ووصل ما انقطع، وإمّا القطيعة بغية الخلاف والفصل.

وأضاف: لو كان قانون الإنتخاب يسمح بتمثيل شعبي يتجاوز مسك بعض الزعماء لمفاصل الحياة

الحصص السياسية ومستوى الحقوق الذي يجب أن يتمتع به المواطنون سواء بسواء. هذه البنية الفيدرالية هي من نوع غريب، وهي في طور أزمتها البنيوية والعضوية والتي تحتاج إلى خيارات كبرى: إمّا السير نحو تعميقها، وإمّا إلى تجاوزها نحو الدولة المدنية التي لا تنكر حقّ الجماعات الدينية والثقافية بالوجود، ولكن لا تسلّم لها وحدها بذلك.

وتحت عنوان: حوار الأديان وبناء الدولة، أبدى القاضي عباس الحلبي اقتناعه أنّه إذا رغبتنا في خروج لبنان من أزمتها، فيجب العمل على قيام الدولة المدنية التي تقرّ للطوائف حقوقها وضماناتها كما نصّ عليها اتفاق الطائف بإنشاء مجلس الشيوخ وسواء من المؤسسات والهيئات التي تكفل مشاركة الجميع، ولكن على أن تحفظ أيضًا للمواطن اللبناني كضد حقوقه وارتباطه بها من دون وسيط.

وأضاف: يزيّن لي أن المقصود إذاً في الربط بين حوار الأديان وبناء الدولة أنّ للطوائف دورًا في بناء الدولة، وعلى هذا الأساس يساعد الحوار بين المجموعات المختلفة على إقامة هذه الدولة.

إنّ طرح موضوع بناء الدولة يشير إلى أنّ ثمة قناعة عامّة بأنّ الدولة غير موجودة. لذلك، يحتاج اللبنانيون إلى حوار لبنائها. ولعلّ الاستنتاج البديهيّ من الأعمال الحوارية التي ساهمت فيها أنّ القضايا الخلافية بين اللبنانيين تتّصل بالنظام السياسي؛ ويدخل في هذا الإطار موضوعا النظام البرلماني ومفهوم الديمقراطية التوافقية.

وفي ضوء الصيغة التي يمكن الإتفاق عليها،

«اقتطاع» الزعيم الطائفيّ لحقوق جماعته وإعادة توزيعها وفقًا لحسابات خاصّة به. فتقلّصت حقوق المواطنين إلى أدنى المراتب والدرجات لمصلحة كلّ فئة طائفية بعينها. فلقد اتّجهت الأمور إلى حصر موضوع التنوّع في التعدّد الطائفيّ السياسيّ، وأقفلت أبواب التفاعل بين المكوّنات اللبنانية المختلفة.

أضاف تقيّ الدين: لقد ترافقت هذه المسارات للنظام الطائفيّ مع صراعات إقليمية ودولية، أعطت للجماعات اللبنانية أبعادًا خارجية، فتكاملت عناصر الصراع، وهدّدت بتفكك الصيغة وانفراط عقد اللقاء الوطنيّ، واحتاج الأمر إلى تدخّل خارجي... فالتجربة اللبنانية هي الآن في حالتها المرضية التي توحى باحتمالات التفجّر تحت وطأة أيّ متغيّر إقليميّ.

لقد وضع اتفاق «الطائف» فرضيات لاحتمالات إدارة التنوّع من خلال صيغة ديمقراطية، لكنّ هذه الفرضيات ما زالت حبرًا على ورق، لاسيما من حيث المؤسسات الدستورية التي افترض وجودها (نظام المجلسين) أو من حيث الإصلاحات السياسية التي تحدّث عنها (اللامركزية الادارية والتنمية المتوازنة والمجلس الاقتصادي الاجتماعيّ واستقلال القضاء والقضاء الدستوريّ والتربية والتعليم والسياسة الدفاعية ومؤسساتها الخ...)

فإذا كنّا لم نختبر بعد هذه الصيغة الجديدة لإدارة التنوّع اللبناني، فنحن أمام أوضاع استثنائية غير عادية، وهي بالتالي ليست قابلة للتقنين (قوننتها).

لسنا، إذاً أمام نظام مستقرّ لإدارة هذا التنوّع الاجتماعيّ، لأنّ ليس هناك من فصل بين



الدستور؟ وهل نحن بحاجة إلى حوار الأديان أم إلى حوار بين مواطنين لبناء الدولة؟

وانتهى إلى القول: من شروط الدولة الفدرالية ضمان توفر شرطين أساسيين: الأول يتصل بالسياسة الدفاعية، والثاني يتصل بالسياسة الخارجية. أوليس كلا الشرطين هما من الأسباب الأساسية للخلاف القائم بين اللبنانيين؟ وبما أن اتفاق الطائف نص على لامركزية إدارية، فإننا نتساءل لماذا لم يُصَرَّحَ حتى تاريخه إلى إقرار هذا النظام الذي يتيح للمناطق اتباع سياسة إنمائية تزيد من إمكان بقاء أهالي المناطق فيها ووقف النزوح إلى بيروت والضواحي!

حتى لا يبلغ حدود الحرب الأهلية كما أظهرت التجربة المريرة الأخيرة.

وسأل: هل من حل في لبنان إلا قيام الدولة المدنية التي تحمي المواطن وتقرّ بانتمائه المباشر إليها من دون حاجة إلى الطوائف وعلى أساس المواطنة؟

هل من ضرورة للبحث عن حلّ، والحلّ موجود في الدستور؟ ولماذا لا نضغط لتطبيقه بنزاهة وجرأة ونبحث مستقبلاً عن آفاق تطويره إذا برزت الحاجة إلى ذلك بعد التطبيق؟ لماذا نسعى إلى حلّ ولا نراه وهو أمامنا في

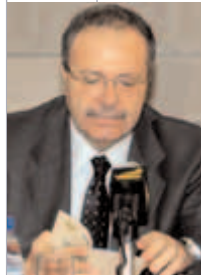
السياسية من جهة، وإيجاد كتلة نيابية عابرة للطوائف والمذاهب لا تدين بالولاء لزعماء الطوائف من جهة ثانية، لكان من غير الجائز إجراء الحوار إلا عبر المؤسسات الدستورية، إذ كيف يمكن إنتاج حوار وطني خارج المؤسسات الدستورية وما جدوى قيامها إن لم تقم المؤسسات بهذه المهمة. وإذا كان النظام السياسي يشكو من ثغر على ما بيّنا، فإن الطبقة السياسية مدعوة إلى ضبط الصراع السياسي

□ الندوة الخامسة جرت تحت عنوان: الدولة من منظور علماني، في ٢٠٠٨/١٢/١٨.

أدارها وزير الإعلام د. طارق متري، وحاضر فيها الأستاذان موريس نهر ونصري الصايغ والدكتورة فهمية شرف الدين.

○ | الوزير طارق متري أشار بدايةً إلى أنه أمضى عامين «مع مجموعة بحثية في محاولة الاتفاق على تحديد لمصطلح العلمنة، خرجنا بنهايتها على اتفاق ما زلت أعتد به حتى اليوم وهو أن العلمنة عملية تاريخية-اجتماعية تؤدي تدريجاً إلى استقلال المؤسسات والجماعات والأفراد عن الرموز والأشكال والمؤسسات الدينية بحيث كان الكثيرون، قبل ذلك، يعتقدون أن العلمنة عملية كونية لا رجوع عنها. واليوم، لم يعد قول كهذا قابلاً للتصديق. فالعلمنة ليست كونية، وما سمي تراجعاً عنها حصل في غير بلاد. نسي المهتمون بالمسألة بالذين يستوحون التجربة الفرنسية أنها استثناء في الاستثناء الأوروبي الغربي».

وتابع: «نتحدث عن الدولة في لبنان وكيفية بنائها، وهذه الفكرة أعتقد أنها تجمعنا؛ ولعلّ الكثيرين ممّن لا يعتبرون أنهم ينتمون إلى أمّة واحدة، وما يجمعنا هو الحد الأدنى المقبول لكي نبقي معاً، إنمّاؤنا إلى دولة واحدة وارتضاؤنا مشروعاً واحداً لبناء الدولة».





ولفت الوزير متري إلى أننا «نتحدث عن مشروع بناء الدولة، وليس هناك من بلد في العالم مشغول أكثر منا في بناء الدولة، لكنّ مشروع بناء الدولة لدينا معلق لأسباب خارجية وداخلية معاً. فهو معلق حتى انتهاء الصراع العربي- الإسرائيلي، فيما كلّ الدول العربية الأخرى، الممانعة منها والمتهمة بأنها متخاذلة، المعتدلة منها والراديكالية، لم تعلق مشروع بناء الدولة فيها حتى نهاية الصراع العربي- الإسرائيلي. أمّا السبب الداخلي في تعليق مشروع بناء الدولة فهو المشكلة الطائفية، التي باتت، هي أيضاً، في نظر الكثيرين، عقبة أمام بناء الدولة القائمة على المساواة في المواطنة».

ولاحظ متري أنّ «العلمنة عند البعض تعني فصل الدين عن الدولة، ولبنان، ما خلا الأحوال الشخصية، يفصل بين الدين والدولة. فالمشكلة ليست في هذا الأمر بل في الطائفية. فالطوائف تشكلت من انتماءات دينية وعقائد دينية، لكنّ للطوائف تاريخاً. الثقافة الطائفية شيء، والثقافة الدينية شيء آخر. وعلماء الاجتماع يعرفون أنّ في إمكانك أن تجد في لبنان طائفيًا شديد التطيّف وقليل التدين، وهو قلماً تجده في مجتمع آخر».

ورأى أنّ «الطائفة تنسب إلى نفسها تاريخاً مستقلاً، ولها، كما يقول أحمد بيضون، «أبّهة تاريخ منفصل. ولعلّ الطوائف أقرب إلى الاتنيات منها إلى الجماعة الدينية بالمعنى الدقيق للكلمة. وتنزع الطوائف، في حالات كثيرة، إلى التصرّف كأنها أمم، بل تريد أن تكون لها أدوار الدول».

وانتهت مداخلة الوزير متري بإشارة إلى اتفاق الطائف؛ «فهو يعترف بالطوائف، وبانتماء

اللبنانيين إليها، ورغبتهم في الاحتماء بها وإن رمزياً. لكنّه يعترف بالحاجة إلى تجاوز الطائفية. ومن اللافت أنّ الذين يشكون الطائفية هم أنفسهم طائفيون، والذين يعبرون عن الطائفية يشكون هم أنفسهم منها. ولعلّ اتفاق الطائف يلاحظ هذا الأمر، والتجاوب مع طلبين اجتماعيين متضاربين ومتداخلين مضمّر في نظام المجلسين».

وفي ملخص لمداخلة الدكتور موريس نهر، تحت عنوان: معوقات بناء الدولة العلمانية، يمكن تقديم النقاط الآتية:

■ الدولة هي أداة تنظيم المجتمع وحياته، تنبثق منه وتقوم بإدارة شؤونه؛ وهي بذلك ليست سلطة إلهية.

■ تناولنا لموضوع الدولة من منظور علماني، لا ينطلق من بحث أكاديمي مجرد لنشأة الدولة وتاريخها، بل من التجربة المعيشة للدولة الطائفية القائمة في بلدنا.

■ تكشف هذه التجربة أنّ نظام المحاصصة الطائفية الذي بدأ موقتاً عام ١٩٤٣، وتحوّل إلى دائم، جعل الدولة مساحة لتحصص الطوائف المختزلة بزعمائها، وشكّل مصدراً

لتناقضات وصراعات بينهم يطغى فيها الطابع الطائفي، فتعيق عمل السلطة، وتعرقل بناء دولة القانون والمؤسسات، وتبقى وحدتها هشّة، وتفتح المجال لتغطية الولاءات والمراهنات الخارجية ولحماية وتفشي الفساد والفاستدين ونمط الزبائنية... وبالإضافة إلى ذلك، تظهر التجربة أنّ استخدام الطائفية والمذهبية التي تتغذى من النظام الطائفي، يباعد بين اللبنانيين وينتج فتناً وحروباً أهلية متكررة، ويجعل لبنان ساحة مفتوحة لصراع

تتداخل فيه العوامل الخارجية مع الداخلية، فتضعف سيادة الدولة الداخلية المنقوصة أساساً، وسيادتها الفعلية تجاه الخارج..

■ إقامة كيان الوطن على أساس أنّه مجموع كيانات طوائفه وليس مواطنيه، يبقيه معرّضاً للاهتزاز والتفكك كلما احتدم أو تفجّر الصراع متخذاً شكلاً طائفيًا ومذهبيًا.

■ البقاء في دوامة التسويات تحت السقف الطائفي نفسه، هو مجرد تنفيس مؤقت لأجواء محتدمة، ولا يتجاوز تعديلات طفيفة وموقّته لا تدوم، في توازنات وحصص الطوائف والمذاهب... كما أنّ تقسيم لبنان، الذي هو أصغر من أن يقسم، إلى كانتونات طائفية ذات استقلال ذاتي تحت عنوان الفيدرالية، هو عودة إلى الوراثة، ويحمل معه تهديداً لوجود لبنان كياناً ودولة، وهو لا يشكل حلاً لمسألة التنوع اللبناني المتداخل...

■ حماية التنوع الديني والطائفي في لبنان لا تتوفّر عن طريق سيطرة طائفة أو دين معينين، بل من خلال إقامة دولة ديمقراطية علمانية، أي خارج المراكز الطائفية، تقوم على أساس المواطنة، فتساوي بين كلّ أبناء الوطن، وتلغي التمايز والتفريق بينهم على أساس طائفي، وتضمن حرية الفكر والمعتقد والتعبير وممارسة الطقوس



ثالثاً: إنشاء مجلس شيوخ في مدّة لا تتخطّى العامين.

رابعاً: تنفيذ ما تمّ الاتفاق عليه، وبدقّة بالغة، وإلغاء طائفية الوظيفة باستثناء الفئة الأولى، على أن يشدّد في تطبيق المخالفين.

خامساً: استصدار تشريع يقضي بمنع ذكر طائفة اللبناني، إذا رغب في ذلك، في سجلات النفوس، بهدف تحرير من يرغب من القيود الطائفية.

ويؤمل أن تتمّ ملاحقة هذه المطالب، لتكون في متن البيان الوزاريّ الأول، ومنح الثقة على هذا الأساس أو حجبها إذا خلا منها. ويفضّل إنشاء هيئة أو إيلاء وزير دولة مهمّة متابعة هذه المطالب وإنجازها في خلال عامين.

○ | **الدكتورة فهمية شرف الدين، وتحت**

عنوان: دور القوى

الديمقراطية في

تدعيم الدولة

المدنية، وبعد أن رأّت

أنّ ثمة ما يبرّر

الارتباط بين القوى

الديمقراطية والدولة

«العلمانية» على

المستوى النظريّ،

ووصفت الواقع وأزمة القوى الاجتماعية

الموضوعية، طرحت السؤال: هل هناك قوى

اجتماعية الآن، مهما كان اعتراضنا على

تسميتها، تستطيع أن تشكل دعماً للدولة

المدنية؟

لذا، ماذا لدينا الآن؟



لبنان علمانية خاصّة به، مفهوماً وأسلوباً؛ كما كان للولايات المتحدة وبريطانيا وبلجيكا وفرنسا... وتركيا، علمانية خاصّة بكلّ واحدة منها، وطرق بلوغ متناقضة أحياناً... التقت جميعها على مبدأ واحد: الفصل بين الدين والسياسة. بعضها تطرّف وبعضها اعتدل.

الأحزاب العلمانية والعقائدية لم تخدم العلمانية. وظّفت سياساتها ومناهجها ووسائلها في خدمة القوى الطائفية، سلماً وحرّاً. العلمانيون خانوا علمانيّتهم وخطبوا ودّ الطوائفيات... (الكلام الفضايف على العلمانية لا يعفي العلمانيين من البحث عن الوسائل العلمانية، ومن النضال العلمانيّ المستقلّ لنصرتها).

الطائفيون الوسطيون حاولوا إيجاد مخرج للحالة الطائفية، في النصوص (المادة ٩٥ من الدستور)، ثمّ في اتفاق الطائف. فماذا قدّم العلمانيون الحزبيون؟

لذا، لا بدّ لنا من علمانية الحدّ الأدنى والمتاحة، إذا قرّر العلمانيون أن يكونوا علمانيين عن جدّ. وأمامهم الفرصة التالية مرحلياً:

الطلب الرسميّ من كلّ المرشّحين للانتخابات النيابية المقبلة، تنفيذ اتفاق الطائف لجهة ما يلي:

أولاً: إنشاء الهيئة العليا لإلغاء الطائفية السياسية، على أن يحصل ذلك وفق جدول زمنيّ مداه عامان فقط.

ثانياً: إقرار قانون انتخابيّ خارج القيد الطائفيّ، على أن يتمّ ذلك، في مدّة أقصاها عامان.

والشعائر الدينية لجميع الطوائف... والدولة العلمانية التي تتلاءم مع واقعنا اللبناني هي الدولة المحايدة حيال الدين، ولا تدعو إلى الإلحاد ومناهضة الأديان.

■ بناء الدولة على أسس مدنية علمانية، يشكّل إطاراً جامعاً وموحّداً للبنانيين، ويزيل الحواجز والوسائط في انتماء المواطن إلى الوطن. والدولة العلمانية هي الحلّ الضروريّ والإنفاذيّ لإخراج لبنان من الأزمة البنيوية للنظام السياسيّ، وللفصل بين النظام القابل للتعديل والتغيير والكيان الوطنيّ الثابت. وهي السبيل لجعل التنوع فيه غنىً ومثلاً حياً مشرقاً، ولإسقاط «ميرر الديمقراطية التوافقية» المناقضة لجوهر الديمقراطية والمساءلة والمحاسبة، وللتوافق على أسس سليمة للدولة والوطن والاستقرار.

○ | **وتحت عنوان: إجراءات بناء**

الدولة العلمانية، قال الأستاذ

نصري الصايغ: ليس للعلمانية

تفسير واحد وليس لها نهج موحّد؛

وهذا يفرض على المهتمّين بهذا

الشأن إيجاد التفسير الملائم لها في

المجتمع المعنيّ، وإيجاد خريطة

طريق مناسبة. وهذا ما أدعوه

بالعلمانية العملية، أو العلمانية

الممكنة، التي يلتقي حولها، كما هو

مفترض، العلمانيون مهما كانت

آفاق تفسيراتهم وأبعادها متباينة.



ملف



اجتماعية نسوية وبيئية وشبابية تمارس استقالة جماعية من العمل السياسي، وتحاول، من غير نجاح يذكر، أن تحمي نفسها من جبروت الطوائف وعصبويتها.

قد نستذكر ممًا أصواتًا ومواقف مفردة. إلا أنها لا تشكل خطابًا متسقًا ولا منهجًا واتجاهًا حاسمًا.

إنّ وجوب حضور القوى الديمقراطية مسألة لا تتعلق بالأمني، ولا بدّ من التأكيد أن ضرورتها لدولة علمانية أو مدنيّة حاسمة، كما أنّ غيابها ليس قدرًا لا مردّ له... وقد تكون الفرصة مؤاتية اليوم؛ فالنظام الطائفي قد توقّف عن العمل، ولم يعد بوسعه إنتاج تسويات بين الطوائف المتنازعة، والأزمات المتلاحقة قد تساعد في عمليات تحويل أخرى نحو قيام الدولة المدنيّة كخيار استراتيجي لبناء دولة القانون والمؤسسات، دولة كلّ المواطنين.

نلبث أن نرى عليه رداء الستينيات أو السبعينيات، وما علينا سوى أن نتذكر بأسف أنّ الجماهير التي يتمّ استدعاؤها عند الحاجة من قبل الأحزاب الطائفية والمذهبية هي بأكثريتها من الشباب والشابات الجامعي على وجه الخصوص.

ويبقى أنّ الكلام عن القوى الديمقراطية ودورها في دعم الدولة المدنيّة صحيح في حدّ ذاته، لكنّه لا يعبر عن الواقع الحقيقي الذي تغيّر عبر سنوات الحرب التي امتدّت على مدى ١٧ عامًا، مضافًا إليها سنوات التحويل التي رافقت عمليّات وضع اليد السوريّة على لبنان، والتي كرّست الطائفية ومفهوم الدويلات الطائفية.

ربّما يكون هذا الكلام متشائمًا، لكنني حاولت أن أبحث عن القوى الديمقراطية في المشهد السياسي، فلم أر سوى اصطفايات عصبوية؛ وبحثت عنها في المشهد الاقتصادي، فوجدت بقايا رأسمالية مهالكة ورأسماليّ مندمج في العولمة الاقتصادية؛ وبحثت عنها داخل ما نسميه المجتمع المدنيّ، فلم أر سوى بقايا أحزاب ونقابات واتحادات طلابية، وحركات

أحزاب تقدمية/ وطنية أضاعت في الحرب الأهلية الطويلة وما تبعها من تحالفات وتراجعات مصداقيتها وقدرتها على التأثير؛ نقابات واتحادات مهنية وعملية تتباهى باعتبارها امتدادات للأحزاب الطائفية؛ مثقفون مشتبّون داخل أروقة السلطات السياسية والطائفية؛ طبقة وسطى لم يتبقّ منها سوى الاسم تتدهور نحو الأسفل باستمرار وفي انشطار مأساويّ بين أثرياء وجماهير كادحة لا همّ لها سوى البحث عن سبل للعيش ولو من دون كرامة في معظم الأحيان.

الخطاب السياسيّ المهيمن هو خطاب متطرّف لا يعترف حتّى بإمكانية بناء كتل مستقلة (خطاب العماد عون وغيره، كتابات المتحرّبين، مقال طلال عتريسي في النهار)؛ وهو عمليًا يمارس الإلغاء والإقصاء لكلّ من تسوّل نفسه أن يكون مستقلًا أو أن يستخدم الديمقراطية بشكلها الطبيعيّ فيعبر عن رأيه بالأفراد أو الجماعات.

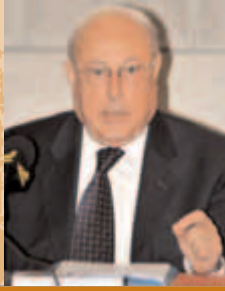
وإذا كنّا نرصد، داخل هذه اللوحة المأساوية، مظاهر متفرقة لصوت آخر، أو لموقف آخر، لا يزال يحمل حنينه إلى دولة مدنيّة، فإننا لن

□ | وفي ٢٠٠٩/٠١/٠٨، تمّت الندوة السادسة تحت عنوان: **مرتكزات الدولة الحديثة في وثيقة الوفاق الوطنيّ،**

أدارها النائب د. بيار دكّاش، وحاضر فيها المحامي إيليّ شلهوب ود. فاديا كيون ود. إيليّ يشوعي.

○ | **النائب د. بيار دكّاش** الذي ذكّر بأنّه كان، ولا اعتبارات عديدة، من القلائل الذين رفضوا اتفاق الطائف في الشكل والأساس، حدّر كلّ مطالب وكلّ من





○ | **المحامي إيليّا شلهوب**، وتحت عنوان: **الإصلاح القضائي في وثيقة الوفاق الوطني**، وبعد أن عرض لنصّ الوثيقة حول المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء، والمجلس الدستوريّ، ومجلس القضاء الأعلى، اقترح ما يأتي:

١. إعطاء القضاة حقّ انتخاب عدد من أعضاء المجلس يتجاوز العدد الحاليّ.

٢. إشراك نقابتي المحامين في بيروت وطرابلس في تسمية بعض أعضاء المجلس.

٣. إشراك الحقوقيين الأكاديميين في تسمية أعضاء في المجلس.

٤. جعل موازنة السلطة القضائية بنداً واحداً في ميزانية الدولة، وفصلها عن ميزانية وزارة العدل، وإعطاء مجلس القضاء الأعلى الحقّ في وضعها وإدارتها وصرفها.

٥. جعل قرار مجلس القضاء الأعلى فيما يتعلق بالتشكيلات والمناقلات والترقيات نافذاً بذاته من دون الحاجة إلى إصدار أيّ مرسوم. وبالتالي أن تصبح جميع القرارات الخاصة بالقضاة وأعضاء النيابة العامة، منذ التعيين وحتى التقاعد مروراً بالترقي والنقل والتأديب وعدم الأهلية، من اختصاص مجلس القضاء الأعلى.

٦. إصدار قانون يلزم السلطين التشريعيّة والتنفيذيّة باستشارة مجلس القضاء الأعلى في مشاريع القوانين التي تطال السلطة القضائية قبل إحالتها إلى مجلس النواب لإقرارها.

والحريّات غير مصانة، وليس الشعب من يختار النواب، بل إنّ ثمة عوامل قهر تعطلّ إرادة الناخب.

أمّا المجلس الاقتصادي والاجتماعيّ، فهو، بعد تأليفه المتأخّر، لم يُعط الدور المطلوب منه.

لقد أقرّت وثيقة الوفاق اعتماد الكفاية والاختصاص بديلاً من الطائفية للتعيين في الوظائف العامة، فإذا بالمذهبية والمحسوبية تصبحان المقياس. وإنّ المحاصصة باتت النهج السائد. كذلك فقد أصبح المشهد الإعلاميّ أشبه بالسياحة في جزر إعلامية، المرئيّ منها والمسموع تخصيصاً. فلكلّ جماعة تلفزيونها وإذاعتها.

وانتهى إلى القول: إنّ اتّفاق الطائف هو وثيقة الوفاق الوطنيّ. وهذا يعني أنّ الوفاق هو أساسه وغايته الأولى، وأنّ جميع بنوده تشكل كلاً لا يتجزأ، ولا يمكن الإخلال بأيّ منها تحت طائلة إبطالها جميعاً: فالأحكام مترابطة والنصوص متكاملة، لأنّها تتمحور حول إرادة العيش المشترك ولا يحقّ لأيّ فريق أن يتفرد ويستأثر، ولا لأيّ فئة أن تقصي أخرى، ولا أحد يملك حقاً حصرياً لتصنيف المواطنين، لأن لا أحد يمكنه زعم امتلاك الحقيقة وحده، ولا فرض تطبيق مقاييسه الخاصة على سائر بني قومه. فأين نحن من هذه المبادئ والرؤية الإصلاحية؟



تساوره نفسه بتعديله، اليوم وفي الظروف التي نحن فيها، من أنّه يلعب بالنار التي تكمن تحت الرماد.

ثمّ أضاف: تعالوا نكشف ما فيه من حسنات ونعوض على الجرح بما فيه من سيّئات بانتظار الوعي المرتقب، كي يخلص الوطن موحداً أرضاً وشعباً حرّاً سيّداً مستقلاً.

الإصلاحات: عدّد الاتفاق جملة إصلاحات ملحة، من اللامركزية الإدارية واعتماد خطة إنمائية شاملة اقتصادياً واجتماعياً، إلى استقلالية السلطة القضائية وسيادة العدالة، إلى وضع قانون ديمقراطيّ عصريّ للانتخابات النيابية، بعد إعادة النظر في التقسيم الإداري، إلى إنشاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي، إلى التربية والإعلام... (إنّ هذه الإصلاحات ظلت مجرد عناوين)

فاللامركزية الإدارية اسم من دون مسمّى، والإنماء كلمة جوفاء، والقضاء مسمّى، وما أنشئ من مجالس عاجز عن لعب دوره بسبب هوى الانتقائية وارتفانه للسلطة التي تعينه.

إنّ قوانين الانتخابات النيابية، بنماذجها الثلاثة (١٩٩٢ و ١٩٩٦ و ٢٠٠٠) نقضت روح الاتفاق ونصّه.

التوازن الوطنيّ غير محقّق، والديمقراطية غير مؤمّنة،



وختم: إن الاقتراح الخجول الذي ورد في وثيقة الوفاق الوطني فيما خصّ مجلس القضاء الأعلى لا بدّ من تطويره على ضوء التجربة غير الناجحة في إدارة مرفق العدالة، الذي يجب أن يكون الحكم بين السلطات لا أداة للتجاذب السياسي.

○ اوفي إصلاح النظام السياسي اللبناني وإلغاء الطائفية السياسية، وبعد عرض الأزمات التي يمرّ فيها إلى حدّ أن مصير الكيان اللبناني نفسه بات مهدّداً، طرحت الدكتورة فاديا كيوان جملة حلول:

١. العودة إلى الحوار حول المسائل الخلافية، وأولها موضوع تنظيم العلاقة بين المقاومة والدولة بما يسمح للدولة بالعودة إلى احتكار إدارة القوّات المسلّحة الشرعيّة ويحمي المقاومة ويسمح للبنان بالإفادة منها أمام التهديدات الإسرائيليّة المتواصلة. كذلك أصبح من الملحّ التوافق على إستراتيجية دفاعيّة وعلى سياسة خارجيّة للبنان تحميه من التجاذبات الإقليمية والدوليّة.

٢. إعادة النظر في الخلل الواقع في عمل المؤسّسات الدستوريّة من وجهة نظر دستوريّة وغير طائفية، والإفادة من التجربة السابقة (١٩٩٠-٢٠٠٨) لتطوير المؤسّسات الدستوريّة. ويجب أن يشمل ذلك المزيد من المأسسة وإخضاع مشاريع القوانين الرئيسيّة للموافقة المسبقة للمجلس الدستوريّ.

٣. متابعة تطبيق الإصلاحات التي نصّ عليها اتفاق الطائف، مع معالجة مباشرة للأزمات التي استجدّت بعد إبرام اتفاق الطائف، ومنها احتدام المواجهة المذهبيّة وشلّ عمل المؤسّسات الدستوريّة.

وسألّت الدكتورة كيوان: كيف يمكن تجاوز أزمة النظام السياسي اللبناني بصورة واقعيّة؟ وهل يمكن التحوّل من النظام التوافقيّ إلى النظام الأكثرّيّ؟

فقال: مع ظهور المواجهة المذهبيّة في السنوات الأخيرة، أصبح من الصعب جدّاً إيجاد إجماع وطنيّ للانتقال من النظام التوافقيّ إلى النظام الأكثرّيّ اللاطائفيّ. وتراجعت بالطبع مقولة إلغاء الطائفية عبر العلمنة الكاملة المتمثّلة في إلغاء نظام المحاصصة من جهة، ووضع قانون أحوال شخصيّة مدنيّ وموحد لجميع اللبنانيين.

لكن، ربّما كان هناك إمكانيّة لتطوير عمل النظام السياسيّ عبر خلق الظروف التي تدفع إلى تشكيل تيارات سياسيّة مختلطة، ونستوحي ذلك من المشهد الحاليّ لـ ٨ و ١٤ آذار.

ثمّ رأّت أنّه إذا تمّ اعتماد النظام النسبيّ بدل النظام الأكثرّيّ، يكون هناك فسحة لتمثيل مختلف الآراء في كلّ دائرة انتخابية؛ ففيما اتّجه النظام الأكثرّيّ إلى تمثيل الأكثر غلواً في الطائفيّة في المرحلة السابقة، يمكن للنظام النسبيّ أن يوسّع مروحة التمثيل فتشمل المعتدلين إلى جانب المتطرفين، ويفتح كذلك باب المنافسة بشكل أوسع، فيشجّع مختلف الآراء على الدخول في المنافسة الانتخابية.

أمّا بالنسبة لتقسيم الدوائر فيمكن اعتماد المحافظة كما جاء في الطائف، وذلك بعد إعادة النظر في التقسيم الإداريّ الحالي، وعلى أن يكون هناك دورتان: دورة أولى يتمّ فيها تأهل المرشّحين في دوائر فرديّة، ودورة ثانية تجري فيها الانتخابات على أساس اللوائح

المقفلة وبحسب النظام النسبيّ على مستوى المحافظة. فالتأهيل على مستوى الدائرة الفرديّة من شأنه حماية حقّ الأقليات في كلّ المناطق في اختيار مرشّحيها، والتأثير على مجريات الانتخابات مثلها مثل الكتل الأكثرية.

ويمكن للنظام النسبيّ وللانتخاب على أساس دورتين أن يسمح كذلك بتشكيل كتل سياسيّة مختلطة طائفيّاً ممّا يؤديّ إلى قيام أكثرية ومعارضة، ويسمح بالتالي بتداول للسلطة بين أكثرية ومعارضة بدل الدخول معاً إلى الحكومة وتعطيل عملها كلّ يوم. فالانتقال إلى نظام تداول السلطة ممكن مع التوزيع الطائفيّ للمقاعد، وهو يمكن أن يمهدّ لإلغاء التوزيع الطائفيّ لاحقاً، ويساهم في التحوّل من الانقسام الطائفيّ إلى الانقسام السياسيّ.

وتابعت: يمكن لقاعدة الأكثرية الموصوفة المعتمدة حالياً والمترافقة مع مبدأ الثلث المعطلّ أن تشكل ضوابطاً لحماية مختلف المجموعات من أيّ قرار أغلبيّ جائر؛ فينتقل عندها النظام السياسيّ اللبناني من صيغة اعتماد مبدأ الأكثرية في الانتخابات النيابية والنسبية في مجلس الوزراء إلى صيغة النسبية في الانتخابات النيابية والأكثرية في مجلس الوزراء.

أضافت كيوان: إذا ترافق ذلك مع



مواصلة تطبيق الإصلاحات الأخرى مثل اللامركزية الإدارية الموسعة والإنماء المتوازن للمناطق، يمكن للبنان أن يجتاز أزمة نظامه ويجد بعضاً من الاستقرار.

لكن الاستقرار السياسي في لبنان يستلزم إعادة النظر في صلاحيات رئاسة الجمهورية ليلعب رئيس الجمهورية دوراً أكبر في إدارة النزاع والبحث عن تسوية للخلافات التي تستجد بين المجموعات اللبنانية وبين الأحزاب والقوى ذات المشارب المختلفة. وبداية هذا الدور تكون بتنظيم حوار وطني حول المسائل الخلافية بغية إيجاد توافق حولها.

الدكتور إيلي يشوعي، وفي مجال الإصلاح الاقتصادي والمالي والنقدي، رأى أن أهم ما نصت عليه وثيقة الوفاق الوطني هو اعتماد لبنان النظام الاقتصادي الحر، من خلال تشجيع المبادرة الفردية وحماية الملكية الخاصة، ثم إرساء اللامركزية الإدارية الشاملة لتحقيق الإنماء المتوازن.

وأضاف: نظام الاقتصاد الحر أي اقتصاد السوق، يركز أساساً على وضع الأطر الرسمية المحفزة لإنتاج السلع والخدمات وإيجاد فرص عمل والإفادة من الموارد البشرية والمالية والطبيعية المتاحة في مناخ تنافسي يساعد على الإنتاجية والتقدم والإبداع. وأهم تلك الأطر سياسات الاستقرار الاقتصادي التي تطبع

تدخل معظم الدول في حركة اقتصاداتها؛ أعني بذلك: السياسة النقدية، والسياسة المالية، وسياسة العمل والجور. وإن أي إصلاح اقتصادي يبني تحديداً على تلك السياسات، وهي كما مطبقة في لبنان، أبعد ما تكون عن النهج الإصلاحي وفاعلية الدور الرسمي في الاقتصاد فضلاً عن أنها تخالف في بعض جوانبها ما نص عليه الدستور حول طبيعة نظامنا الاقتصادي.

أوضح يشوعي: المقاربة الإصلاحية لسياسات الاستقرار الاقتصادي تفترض أولاً النظر إلى النقد كعنصر مهم في تحديد مستوى النشاط الاقتصادي، على الأقل في المدى القصير. فأى تغيير في عرضه يحدث تعديلاً أساسياً في هذا النشاط. لذلك، توفير عرض ملائم للنقد في الاقتصاد أكثر من ضروري لنموه. أما طلب

النقد بقصد الاستثمار والاستهلاك، فكل النظريات والتجارب تشير إلى أنه يتأثر مباشرة بسعر الفائدة. إذ، السياسة النقدية الانكماشية باستمرار في لبنان تفتقر إلى آلية سليمة لعرض النقد في الاقتصاد وبلوغ سعر الفائدة الذي يسمح للاستثمار وللإستهلاك بتسجيل نمو اقتصادي حقيقي أعلى مع المحافظة على استقرار نسبي لأسعار السلع والخدمات. أما على المدى الأبعد، فعناصر أخرى تضاف إلى عامل عرض النقد في صنع النمو، مثل زيادة عدد السكان والموارد الأساسية للاقتصاد والتكنولوجيا. إن أي تغيير في الإنفاق الإجمالي، كزيادة في إنفاق الموازنة العامة أو ارتفاع عالمي في أسعار المواد الأولية، يجب أن يترافق مع زيادة في عرض النقد من قبل السلطة النقدية، وألا يرتفع ثمن النقد أي سعر الفائدة، فتتوقف زيادة الاستثمار والاستهلاك وزيادة حجم الناتج أي حجم الاقتصاد.

وتابع: السياسة المالية بين سياسات الاستقرار الاقتصادي أساسية. فالموازنة العامة نادراً ما تكون متوازنة، تسجل إجمالاً عجزاً بين النفقات والواردات. لكن هذا العجز، لكي يكون مقبولاً من زاوية درجة فاعلية إدارة الشأن المالي والاقتصادي، يجب أن يرفع مستوى الطلب العام والعمالة في الاقتصاد؛ وذلك لا يتم فعلياً إلا بواسطة الإنفاق على المشاريع والاستعانة بالكفايات والعمالة المحلية، ما يساهم في تكبير حجم الاقتصاد وزيادة الواردات في الموازنات اللاحقة. وغير ذلك يعني الوقوع في ظاهرة الاستبعاد، أي في حال منافسة القطاع العام للقطاع الخاص على الموارد المالية المتاحة في الاقتصاد، والتي تتسبب في ارتفاع كلفتها، ما ميّز ولا يزال السياسة المالية في لبنان.

وعن الضريبة في السياسة المالية، قال يشوعي إنها ركيزة أساسية يجب أن توفّق بين مبدأ توفير الواردات في الموازنة ومبدأ العدالة الاجتماعية وضرورة حفز النمو والإنتاج، لا أن يرتبط عبئها عضوياً بعجز الموازنة كما هو مطبّق في لبنان. فالعدالة تفترض تصحيحاً تدريجياً للخلل القائم بين الضرائب المباشرة والضرائب غير المباشرة، على أن تنحصر الضرائب غير المباشرة بالضريبة على القيمة المضافة، لا أن تتراكم فوقها كالرسوم على الاستهلاك وغيرها. وهذه الضريبة مرنة تسمح بخفض معدلها على منتجات القطاعات التي ترغب الدولة في مساعدتها، والتي تساهم خصوصاً في خلق فرص عمل في الأرياف. ويقتضي حفز الإنتاج خفض الأعباء الضريبية عليه، والتعويض عنها بتكليف الدخل الربحي وحفز الطلب الداخلي بواسطة الاعتدال الضريبي.



وانتهى يشوعي إلى القول: الدولة المركزية تساعد على تحقيق التنمية التي لها طابع اجتماعي، والقطاع الخاص يحقق النمو ذا الطابع المادي، واللامركزية الإدارية تحقق الإنماء الذي له طابع جغرافي.

أما أهم شروط نجاح اللامركزية: وضع أطر تربط بين النظامين الضريبي والتمويلي المحليين والسياسة المالية المركزية، وتسمح للمناطق بإبداء رأيها في مسائل تموية تعنيها مباشرة كالموازنة المحلية، والضريبة المحلية، والاقتراض، وكلفة الخدمات، وتنسيق التكامل بين السياسات المركزية والخطط المناطقية.

على التضخم، والمحافظة على القدرة الشرائية للأجر.

أما سياسة الخدمات الاجتماعية المتمثلة بالتقديمات الاجتماعية، فهي تدعم الأجر، لكنها تتحول بسرعة إلى وسائل ديماجوجية في السياسة إذا لم تراعى الحاجات الحقيقية. ففي الضمان الصحي مثلاً، إرساء توازن جديد بين الوقاية والرعاية الأولية للصحة والاستشفاء لازم. النظام الحالي منحاز بشدة لصالح الاستشفاء، وهو أعلى كلفة من الأنظمة الصحية الأخرى. فبرغم تشتت التغطية الصحية بين عدد كبير من أنظمة الضمان الرسمي والخاص، لا تزال شريحة واسعة من اللبنانيين ٢٥٪ من دون ضمان. لذلك اعتماد نظام البطاقة الصحية يضع جميع اللبنانيين تحت مظلة التقديمات الصحية.

وسياسة العمل والأجور أساسية أيضاً بين سياسات الاستقرار الاقتصادي- قال يشوعي. سياسة العمل تفرض زيادة الإنتاج، وخفض التضخم والبطالة، وربط النظام التعليمي بأسواق العمل، وتوفير التأهيل المهني المتواصل، وتنظيم دخول العمالة الأجنبية. زيادة الإنتاج وتوسّع رقعته الجغرافية يفترضان وجود مناخ استثماري محفّز يساعد على الحدّ من الهجرة الداخلية نحو المدن. أما سياسة الأجور فتتعلّق بحال الاستخدام في الاقتصاد، وحسن إعادة توزيع الثروة الوطنية بواسطة سياسة ضريبية ملائمة وتقاسم القيمة المضافة المحقّقة داخل المؤسسات المنتجة بين مكافأة رأس المال بواسطة توزيع الأرباح على المساهمين ومكافأة العمل بواسطة زيادة الأجور للعمال والموظفين، والسيطرة

□ الندوة السابعة، وكانت بعنوان: الدولة اللبنانية والدولة السورية، العلاقات البديلة وموجباتها، جرت في ٢٠٠٩/٠١/١٥.

وقد أدارها الوزير محمد الصفدي، وشارك فيها السفير د. عبدالله بو حبيب والنائب د. فريد الخازن ود. ساسين عسّاف.

○ مدير الندوة، الوزير محمد الصفدي، أوضح أنه منذ العام ١٩٩١ والعلاقات اللبنانية السورية الرسمية تستند إلى معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق، التي افتتحت سلسلة طويلة ومتواصلة من الاتفاقيات والبروتوكولات المتضمنة برامج ومذكرات، امتدّت تواريخ توقيعها حتى نيسان ٢٠٠٥. وقد فاق عدد هذه الوثائق الـ ١٢٠. ومن الضروري إجراء مراجعة مشتركة لها، لئلا تكون لعبة صفرية النتيجة (Zero-Sum game)، ما يربح طرف فيها يخسر الآخر، بل عملية يمكن لكل طرف فيها أن يكون رابحاً. فلبنان وسوريا مصالح أساسية مشتركة، سياسياً وأمنياً واقتصادياً. ونحن بحاجة إلى إدارة هذه المصالح. والبدية الصحيحة تكون بأن يطرح كل طرف أمام الآخر هواجسه وتطلّعاته بالنسبة إلى





○ | النائب د. فريد الخازن، الذي تناول التحديات المشتركة في النظام الإقليمي، بين أن حروب الخليج الثلاث: الحرب العراقية الإيرانية، واجتياح العراق للكويت، وتحرير الكويت من العراق، بذلت الركائز المعهودة للنظام الإقليمي، وأعطت زخماً للولايات المتحدة الأميركية لإطلاق مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية المباشرة في مدريد أواخر العام ١٩٩١، والتي أثمرت اتفاق أوسلو في العام ١٩٩٣ الذي أنشأ السلطة الوطنية الفلسطينية على أرض فلسطين، وأدت إلى توقيع معاهدة سلام بين الأردن وإسرائيل في العام ١٩٩٤، وكادت أن تنتج معاهدة سلام أخرى بين سوريا وإسرائيل في العام ٢٠٠٠.

إلا أن وصول المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية إلى طريق مسدود في كيب ديفيد وطابا عام ٢٠٠٠ أحل المواجهات العسكرية محل المفاوضات، فاندلعت الانتفاضة الثانية في فلسطين.

وإذ بدت الاعتداءات ١١ أيلول ٢٠٠١ عملية إرهابية مصدرها العالم العربي والإسلامي، فإن واشنطن ردّت بحرب أفغانستان بهدف الإطاحة بحركة طالبان وتنظيم القاعدة ثم بالحرب على العراق بحجة دعم نظام صدام حسين للإرهاب وامتلاكه أسلحة دمار شامل، معتممةً بالتالي مقولة التغيير الديمقراطي كجزء من إستراتيجية حماية الأمن القومي الأميركي.

أما أبرز التغيرات التي أحدثتها الحرب على العراق داخل النظام الإقليمي العربي، بدءاً من انهيار الدولة العراقية، فدخل النفوذ الإيراني إلى العراق وتوسّعه في بعض دول المنطقة وبلوغه حدّ الصدام المفتوح والمتواصل مع

المنصرمة. لكنّ الباب أمام تفعيل العلاقات وتنقيتها من الشوائب لم يفضّل بل على العكس، إذ إن الطرق عبّدت لتطويع العلاقات السورية اللبنانية على النحو المرجو وعلى أسس حرية البلدين واستقلالهما وازدهارهما كنموذج يحتذى لبقية البلدان العربية.

وفي سبيل تحسين هذه العلاقات، نرى ضرورة تحقيق عدد من الخطوات، وأولها التفهّم والاحترام السوريّان لسيادة لبنان واستقلاله ونظامه الديمقراطيّ بشكل ظاهر وعمليّ، والتنسيق الأمنيّ الواسع لمنع استعمال أيّ من البلدين لضرب الاستقرار في البلد الآخر ومحاربة الإرهاب. وهناك حاجة كذلك إلى تنسيق عسكريّ كامل يمنع استعمال أيّ من أراضي البلدين ممراً أو مقراً لأعداء البلد الآخر، فضلاً عن التنسيق في عملية السلام في الشرق الأوسط.

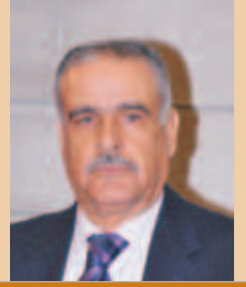
يضاف إلى ذلك الضرورة الملحة للمساعدة في ضبط السلاح الفلسطينيّ وتفكيك المواقع العسكرية الفلسطينية خارج المخيمات بشكل يحتذي النموذج السوريّ في التعاطي مع السلاح الفلسطينيّ.

ويجب على لبنان، أضاف بو حبيب، اتباع سياسة الحياد بين المحاور العربية مع الحرص على تنمية علاقات مميزة مع سوريا، وإقامة علاقات اقتصادية مميزة تحافظ على خصوصيات النظامين. وفي سبيل تنقية الأجواء بين البلدين قال: نلفت إلى أهمية إعادة درس كلّ الاتفاقات المبرمة وتطويرها وحلّ القضايا العالقة وبخاصّة قضية المفقودين اللبنانيين الذين يعتقد أنّهم موجودون في السجون السورية.

طبيعة العلاقات في المستقبل، بشفافية ووضوح. وأعتقد أنّ مثل هذا الطرح لم يحصل ولو لمرة واحدة في تاريخنا الحديث. وأنا مقتنع بأنّ الوضع الآن أصبح مناسباً لا بل ملحاً، للمصارحة بين البلدين.

○ | وتحت عنوان: العلاقات الدبلوماسية بين لبنان وسورية، رأى السفير السابق د. عبدالله بو حبيب أنّ العلاقات اللبنانية السورية، منذ فرض الانتداب الفرنسيّ على لبنان وسوريا عام ١٩٢٠، تحكّمت فيها هواجس تاريخية وسياسية واقتصادية وأمنية، تراوحت بين القلق اللبناني من عدم اعتراف سوريا باستقلال لبنان ومن التدخلات الأمنية والعسكرية السورية بين الحين والآخر، وبين التوجّس السوريّ من استعمال لبنان ساحة تستغلها قوى معادية لضرب سوريا، فضلاً عن الحساسيات من النظام الديموقراطيّ اللبناني الذي وفر متنفساً للأجانب السياسيين السوريين وكان إعلامه الحرّ مصدر انزعاج الأنظمة السورية المتعاقبة.

ومثل الانسحاب السوريّ العسكريّ من لبنان عام ٢٠٠٥ الفرصة التاريخية لتحسين العلاقات، غير أنّ التطوّرات المتسارعة فوّتت هذه الفرصة على إيقاع التوتر السياسيّ والأمنيّ الذي شهدته الساحة اللبنانية على مدى السنوات الثلاث



المجتمع الدولي ولاسيما واشنطن، والانقسام المذهبي والقومي في العراق، والانقسام العربي على خلفية دول الاعتدال ودول التطرف، والتردي السريع في العلاقات الأميركية السورية، واهتزاز التسوية في اتفاق الطائف ما أدى إلى تدويل الأزمة اللبنانية بدءاً بقرار مجلس الأمن ١٥٥٩ في مطلع أيلول ٢٠٠٤ بحيث صارت الأزمة اللبنانية تمرّ بالبوابة العراقية وليس عبر جنوب لبنان كما كانت الحال سابقاً، إلى أن ازدادت الأوضاع تعقيداً مع اغتيال الرئيس رفيق الحريري وحدث انتفاضة الاستقلال وخروج الجيش السوري وإنشاء المحكمة الدولية واندلاع حرب تموز ٢٠٠٦ التي ضاعفت عملية التدويل وفتحت الطريق أمام نشر الجيش في الجنوب بحيث أعيد ربط المنطقة الحدودية بالدولة برعاية دولية، فصار النزاع هناك محكوماً بضوابط، إلا أنه انتقل من ثم إلى الداخل لاحتدام التجاذب الإقليمي والدولي، الذي تجلّى في مخيم نهر البارد وأحداث أيار، فكان اتفاق الدوحة، أي الحل الإقليمي بغطاء دولي، فلم يعد لبنان مساحةً مفتوحةً لأزمات النظام الإقليمي ولا الملف اللبناني في دائرة المقايضة ولاسيما المفاوضات السورية الإسرائيلية.

○ | الدكتور ساسين عسّاف، الذي قارب

بناءات الهوية والانتماء، انطلق من إعلان الجنرال غورو إنشاء دولة لبنان الكبير في آب ١٩٢٠ ومن إعلان الرئيسين سليمان والأسد إقامة علاقات دبلوماسية بين لبنان وسوريا في آب ٢٠٠٨ ليقول: إن تبادل التمثيل الدبلوماسي يعني اعترافاً تاماً ومطلقاً بدولتين هما سوريا ولبنان.

وبعد أن عرض الدكتور عسّاف للعلاقة المشدودة بين الكيانيين اللبنانيين والوحدويين اللبنانيين والسوريين منذ إنشاء الدولتين؛ قال بوجود التكامل بين هاتين الدولتين مع الحق في الاحتفاظ بالخصوصية، معتبراً أن ذلك ضرورة حيوية لبقاء لبنان لأنه:

- يخرج من أزماته الداخلية.
- يجنبه صراع الهويات المادون وطنية وتداعياته التقسيمية أو التجزئية.
- يدخله في عصر التجمعات الإقليمية وفي حيز اقتصادي واسع.
- يمكنه من مواجهة تحدي المشروع الإسرائيلي الصهيوني وتداعياته.

وأضاف: هذا التكامل يسوّغ سؤال واحد وثلاثة أجوبة:

ما هو مستقبل الدولة اللبنانية؟

- دولة متكاملة مع الدولة السورية تمهيداً لتكاملية أوسع تشمل دولاً عربية أخرى.
- دولة فيدرالية محايدة.
- لا دولة، ساحة صراع إقليمي وتصادم مصالح دولية، صيغة حكم هشّة قائمة على اقتسام السلطة والمحاصصة الطائفية وفتن داخلية متنقلة.

وتابع: أطروحة لبنان دولة متكاملة مع الدول السورية تتجاوز أطروحة الكيانيين بالمطلق وأطروحة الوحدويين بالمطلق. الأولى حدّها الأقصى القطيعة والانفصال، والثانية حدّها الأقصى الضمّ والوحدة القسرية.

الرؤيا إلى مستقبل العلاقة التكاملية هي مجرد رؤيا استراتيجية، وهي لا يمكن أن تكون إلا

كذلك، لأنّ أحدًا لن يقوى على اجتراف أعجوبة التكامل في المدى القريب، أخذًا بالاعتبار مجموعة التعقيدات القائمة حاليًا في العلاقة بين البلدين، وتطبيقاً للمبدأ القائل: ليس بالتنازلات المتبادلة يتمّ التكامل بل بالتقديرات المتبادلة.

والعلاقة التكاملية هذه رأى إليها الدكتور عسّاف في قيود:

١. تكوّن لبنان نهائيًا كدولة.

٢. تظهير إرادة سورية في النظر إلى «دولة لبنان الكبير» غير نظرتها إلى الدول التي أنشئت في الداخل السوري في العام ١٩٢٠ بقرار من المصوّض السامي الفرنسي: دولة الشام، دولة حلب، دول اللاذقية، دول جبل الدروز، دولة سنجق اسكندرون... وهي دول دمجت في «الدولة السورية» باستثناء «دولة لبنان الكبير» التي استقلت و«دولة سنجق اسكندرون» التي ألحقت بالدولة التركية.

٣. الإقلاع النهائي عن التفكير ب/أو السعي إلى/ إقامة دولة فيدرالية محايدة في لبنان تجتمع فيها كيانات طائفية أو مذهبية.

٤. إجراء تحولات بنيوية في النظامين اللبناني والسوري.



٥. التطلع المشترك إلى بناء نموذج في العلاقات العربية/ العربية وتجديد معنى العروبة.

٦. تأصيل العلاقة بين لبنان وسوريا بما يتجاوز العلاقة بين دولتين إلى العلاقة بين جماعات

الأخيرة (الخوف من الآخر والرغبة في تدميره أو في الشأ منه..)

٨. تخطي «المركزية الأنوية» في تحديد الهويات الحضارية المرتبطة بالتاريخ وتعظيمها إلى البساطة الإجرائية والقانونية في تحديد الهويات السياسية المرتبطة بالدولة.

تنتهي إلى نظام قيم وأنماط سلوك وعادات وتقاليد وإرث ثقافي وذاكرة حضارية ومنجزات وتكوّن وتطور في سياق تاريخي واحد، أي جماعات تنتمي إلى هوية واحدة.

٧. تخطي المعطى السيكولوجي الذي خلفته ممارسات سيئة على امتداد السنوات الثلاثين

□ | وفي ٢٢/١٠/٢٠٠٩، انعقدت الندوة الثامنة، تحت عنوان: الدولة اللبنانية والموقف من الدولة العبرية.

أدارها وزير الخارجية فوزي صلوّخ، وحاضر فيها د. شفيق المصري والوزير السابق ميشال إده ود. شاهين غيث.



○ | الوزير فوزي صلوّخ، الذي دعا إلى حشد الطاقات الدفاعية، سواء بالقانون أو بالعديد والعتاد أو بالتحصين الثقافي والاقتصادي لكي يتمكن لبنان من درء الخطر الإسرائيلي، سأل: فهل تكون اتفاقية الهدنة إحدى وسائل التحصين القانوني، وهي التي اعتبرتها إسرائيل لاغية بعد حرب ١٩٦٧، وتمسك بها لبنان وتمسك إلى اليوم باعتبار أنها تجعل حدوده الجنوبية معترفًا بها دوليًا، ولذلك أبقّت الأمم المتحدة على مراقبي الهدنة إلى ما بعد انقضاء مهمة اليونيفل؟

ورأى صلوّخ مناسيًّا الإشارة إلى المبادرة العربية للسلام، التي أذى مرور سبع سنوات على طرحها من دون تلقفها بجديّة وفاعليّة إلى نشوء تيار عربيّ واسع يتحدّث عن سحبها أو تعليقها حصراً هو تضمّنها نصًّا يضمن رفض أيّ شكل من أشكال التوطين، وكونها وثيقة عربية جامعة ذات أهمية دولية تساهم في درء خطر هذا التوطين، مع الأخذ في الاعتبار أنها، وفي مطلق الأحوال، جاءت وفق سياق مشروط بحيث يقوم العرب بكذا في حال قامت إسرائيل بكيت. ثمّ أوضح أنه لمس من قمة الكويت أنّ هناك توافقاً عربياً على اعتبار العام ٢٠٠٩ عامًا لحسم الخيارات، إذ لا يمكن أن تبقى الأمور معلّقة أكثر من ذلك.

○ | الدكتور شفيق المصري سلسل مداخلته، وعنوانها: اتفاق الهدنة ومدى صلاحيته في المرحلة الراهنة، في ثلاث نقاط أساسية: طبيعة الاتفاق القانونية، والضمانات الدولية لاستمرارية، وصلاحيته الراهنة.



(mort)، قال: خلاص إسرائيل الفعلي من المأزق المستحكمة بكيانها وبأمنها لن يتوفّر لها إلا بأخذها الصريح بمبادرة السلام العربية التي أقرتها قمة بيروت عام ٢٠٠٢، والتي حذرت القمة العربية في الكويت أخيراً من أنها سوف لن تكون مطروحة إلى ما لا نهاية. هذه المبادرة هي فرصة إسرائيل الأخيرة إن أرادت البقاء والعيش الآمن في المنطقة. وهي المبادرة التي تؤمّن للشعب الفلسطيني ولجميع الشعوب والدول في المنطقة، بما فيها إسرائيل، الأمن والسلام والاطمئنان.

وانتهى إذّه إلى القول: منعنا الأساس وسلاحنا الأقوى، ليس غير صيغتنا المجتمعية وتماسكنا الداخلي من أجل صونها. بل إنّ صيغتنا هذه هي فعلاً الأفق الذي يفتش عنه العديد من المجتمعات التي لم تعد قائمة على أساس التجانس الديني أو العرقي أو اللغوي، والتي بدأت تعاني من مشاكل ونزاعات تعود أساساً إلى مسألة اندماج الوافدين إليها والقاطنين في ربوعها من أديان وثقافات مختلفة. فبوسع لبنان، أن يستنتج إذاً بأن صيغة التنوع المجتمعية بالديموقراطية تظل أغنى وأقوى من أية أحادية عرقية أو عنصرية أو ديكتاتورية سياسية أو مسلحة.

فإن المرحلة الراهنة لا تستقيم إلا بالتأكيد على:

١. اتفاق الهدنة ووجوب التزام كلّ ما ورد فيه.
٢. القرار ١٧٠١ ووجوب التزام كلّ ما ورد فيه.

○ وتناول الوزير ميشال إذّه «خطر الدولة العبرية على الدولة اللبنانية»، فذكر ببعض مطامع إسرائيل في الأرض والمياه، مستنتجاً بالتالي بأنّ بقاء لبنان قيد الحياة والتطوّر على أساس عيشه المشترك في إطار الحرية والديمقراطية والتنوع التي يميّز بها، إنّما يشكل بذاته خطراً حقيقياً على الكيان الإسرائيلي العنصري؛ وهذا ما يفسّر ما يتعرّض له من اضطرابات وما يضرّض عليه من حروب وويلات.

إذّه الذي لفت الانتباه إلى أنّ الصيغة المجتمعية اللبنانية التي اعتبرتها إسرائيل هدفاً لإستراتيجيتها العدوانية وما يزال البعض في لبنان وخارجه يعتبرها مَقْتَل لبنان، إنّما هي بالذات التي تلحق الهزيمة بإسرائيل وتشكل مقتلاً لتمدّد المشروع الصهيوني وتدخله في أزمة وجودية الطابع للمرّة الأولى منذ قيام كيانه في العام ١٩٤٨. وهنا شدّد على أنّ الديمقراطية التي تحتمها وتحرص عليها صيغة العيش المشترك، ورغم كلّ الشوائب التي تعتورها والتي لا تصحّ أصلاً إلاّ بالمزيد من الديمقراطية، إنّما هي ما جعل من لبنان البيئة الأولى لإطلاق النهضة العربية الحديثة، ثمّ لقيام المقاومة وإنجاز التحرير، ووفّرت الشروط الضرورية للحياة السياسية وللأمل بالتغيير.

وبعد أن قدّم أمثلة على فاعلية «حرب الأنصار» و«حرب الفقراء» في مقابل «حروب المتفوقين» أو «حروب من دون موتى» (La guerre à zéro)

أمّا عن صلاحية الاتفاق الراهنة فقال: إذا كان لبنان الآن، الشعبي والرسمي، يريد أن يحصّن موقفه في إطار الصراع اللبناني-الإسرائيلي، فماذا يطلب في إطار الضمانات القانونية؟

■ اعتراف المجتمع الدولي، عبر مؤسّساته الشرعية، بالوحدة الإقليمية والاستقلال السياسيّ للبنان ضمن حدوده المعترف بها دولياً.

■ واعتراف إسرائيل بحدود لبنان الدولية ووجوب احترامها؛ على أن يكون هذا الاعتراف خطياً وموثقاً ومصدّقاً من المجتمع الدوليّ بموجب قرارات دولية مستندة إلى الفصل السابع.

■ ووجود لجنة دولية ترأب هذه الحدود وتؤكّد وجوب احترامها.

■ ووجود قوّات دولية رادعة تؤكّد على احترام اتفاقية الهدنة، يعني وقفاً دائماً لإطلاق النار على خطّ الحدود الدولية.

■ والعمل على أن يكون لبنان آخر دولة عربية توقع معاهدة صلح مع إسرائيل.

■ والعمل تدريجياً على تمكين الدولة اللبنانية من بسط نفوذها السياسي والعسكري على كامل إقليمها.

وانتهى المصري إلى القول إذا كانت هذه المطالب تشكّل الضمانة المطلوبة للبنان اليوم وغداً؛

وإذا كان اتفاق الهدنة- كما ذكرنا أعلاه- يؤمّن كلّ هذه المطالب من دون أيّ استثناء؛



وانتهى د. غيث إلى جملة عبر، أهمها التوحد، وإن بغير محبة للآخرين. فمن أراد النجاح في المفاوضات، عليه، كما قال، الانطلاق من محبته لنفسه، وليس من كرهه للعدو، أو إلتزامه بحلفاء خارجيين. وتوحد المصلحة الوطنية وحده لا يكفي، بل علينا أن ندرك تبعات الأنظمة السياسية وتركيباتها المؤسساتية لإنجاح أية مفاوضات متعددة أو ثنائية مباشرة من خلال المبادرة العربية. وأضاف: لبنان اليوم يغنى عن تعريض دولته وشعبه لعواقب مفاوضات ثنائية مباشرة مع إسرائيل حول مزارع شبعا والفجر والنقاط الأخرى العالقة، ما لم تستخدم هذه النقاط لتفجير حرب مدمرة لأغراض ومصالح غير لبنانية. إن التزام جميع الأطراف بغطاء شرعية القرارات الدولية لحل هذه المشاكل العالقة هو الأصح في الظروف الحالية. هكذا هي الحال حكماً بالنسبة لموضوع حق العودة؛ والمبادرة العربية وسيلة دبلوماسية صالحة في هذا الإطار لدعم الموقف الرسمي اللبناني لحماية المصالح الوطنية.

□ وفي الندوة التاسعة، بتاريخ ٢٩/٠١/٢٠٠٩، والتي عنوانها: نحو عقد اجتماعي لبناء الدولة في لبنان.

أدارها النائب د. عبدالله فرحات، تحدّث كلٌّ من النائب غسان مخيبر والأب بشارة الخوري ود. طلال عتريسي.

○ | النائب د. عبدالله فرحات استعرض جملة عقود أو اتفاقات اجتماعية وسياسية في تاريخ لبنان، وإن على تفاوت في الحيثيات والمفاعيل، من ١٨٦٠ إلى ١٩٢٠ إلى ١٩٢٦ إلى ١٩٤٤ إلى ١٩٥٩ إلى ١٩٦٨ إلى ١٩٨٩ إلى ٢٠٠٨. وسأل: هل فعلاً الاتفاق الاجتماعي أو السياسي أو العقد السياسي هي أيضاً عقد اجتماعي؟.. مضيفاً: اتفاق المجموعات التي ينتمي إليها اللبنانيون ضروري، لكن التنفيذ المسؤول هو الأساس. فوافق ١٩٤٤ مهم جداً، لأنه أدّى إلى عيش لبنان سنوات ذهبية في الخمسينيات والستينيات. وإذا كان صحيحاً أنه عقد اجتماعي

الأطراف. وفي هذا سرّ نجاح أو إفشال المبادرة العربية، إذ أنها تترك التفاصيل للمفاوضات الثنائية، حيث وجوب تذليل العقبات الجسام ببنى نظامية مؤسسية، وإرادة سياسية قيادية.

وأضاف: إن الإرادة المشتركة والمتقاربة هي ضرورة مطلقة لإنجاح المفاوضات. لكن، ما يتجاهله كثير هو مدى تأثير طبيعة الأنظمة وتركيباتها السياسية على نتائجها الدبلوماسية والسياسية العام، فطبيعة النظام اللبناني التوافقي تصعب، حتى الإلغاء، اتخاذ أية مبادرة تفاوضية ما لم يقرها جميع الأطراف. وطبيعة النظام الإسرائيلي النسبي الائتلافي تفضّل وترفض المساومات الضرورية لتحقيق سلام عادل ومقبول، وتُعطل السلام، وتمنع المبادرات القيادية، وتجدد رتابة الانحلال السياسي، ما يعرّض شعوب المنطقة لدوامات عنف عبثية، رابحها خاسر.

○ | وفي إطار مصير المبادرة العربية والمفاوضات الثنائية وحق العودة، عرض الدكتور شاهين غيث استيعاباً علمياً لمصير المبادرة العربية من حيث ماهيتها السياسية والدور المفترض لها على ما عملياً، مع تركيز خاصّ تضمّنته من تشديد على حق العودة ومفاعيل هذا الشرط على قبولية المبادرة لمطّلبها ومُطّلقها. فحقّ العودة بالمطلق له قيمة النقض «veto» المتضارب لكلا الطرفين، وله في الدبلوماسية التفصيلية شرّ مستتر إذا لم يفسّر بليونه الباحثين عن السلام، خاصّة وأنّ المفاوضات الثنائية بين الفلسطينيين والإسرائيليين قد تجاوزت التصلب حول حقّ العودة المطلق بمعادلات تخفيفية تسهّل قبولها لغالبية





طائفي، فإنّ منفذيه عرفوا كيف يعطونه مدى إنسانياً، ويستفيدون منه لتقوية استقرار لبنان، ولبنان بشكل عامّ. وختم: جوهر الموضوع هو أنّ الاتفاق السياسيّ الاجتماعيّ لا يمكن أن يرى النور إلا إذا كان لدى منفذيه المسؤوليّة الكافية والواعية لتنفيذه بطريقة صحيحة تدفع لبنان نحو التقدّم.

○ | وحول دور الأحزاب وسائر قوى

المجتمع المدنيّ في بناء الدولة في لبنان أكدّ النائب غسان مخيبر، بدايةً، على أهميّة بناء الشراكة بين السلطات والمؤسسات الدستوريّة والأحزاب السياسيّة وهيئات المجتمع المدنيّ في تطوير وتنفيذ مشروع بناء الدولة، على القاعدة الذهبية التي يرفعها منذ سنوات، وهي أنّ «السياسة أخطر من أن تُترك للسياسيين وحدهم».

وبعد أن عرض للأزمة السياسيّة البنيويّة الحاضرة والمواضيع الهامّة العديدة التي يفترض أن تشكّل العمود الفقريّ لبناء الدولة والقوانين، الضروريّ إصدارها تحقيقاً لهذا المشروع الحيويّ، أكدّ أنّ التجربة في لبنان بيّنت أنّ الشروط الأساسيّة للنجاح في أيّ مشروع إصلاحيّ ثلاثة: تطوير مشاريع مصاغة بالتفاصيل المطلوبة، وبلورة توافق سياسيّ واجتماعيّ واسع حولها، وتوفّر ظروف مؤاتية وتوقيت مناسب لها.

أمّا الأدوار المطلوبة من الأحزاب وهيئات المجتمع المدنيّ، في ما يشكّل عقداً اجتماعياً وسياسياً لتحقيق الإصلاح البنيويّ الضروريّ لبناء الدولة في لبنان، فحدّدها النائب مخيبر كما يأتي، مقترحاً لكلّ منها توصيات:

أولاً: بالنسبة لبلورة وتحديد السياسات والخطط الضرورية لبناء الدولة

١. على الأحزاب والقوى السياسيّة العمل على:
 - تطوير وإعلان البرامج الانتخابيّة والسياسيّة والالتزام بها.
 - تنمية وتشجيع الهيئات البحثيّة المرتبطة بالأحزاب أو المتعاونة معها.

■ تطوير وتشجيع المناقشة السياسيّة التي تركز على المواضيع والمسائل أكثر ممّا على الزعامات والأشخاص.

٢. على هيئات المجتمع المدنيّ العمل على:

- تنمية وتشجيع نشاطات الهيئات والمؤسسات البحثيّة المتعلّقة ببناء الدولة، وربطها بمبادرات عمليّة هادفة.
- وضع المشاريع في صيغة قابلة للإقرار مباشرة (مشاريع قوانين ومراسيم تطبيقية).

ثانياً: بالنسبة للعمل على إقامة الحوار الوطنيّ بشأن السياسات والخطط والضغط باتجاه إقرارها

١. على الأحزاب والقوى السياسيّة العمل على:
 - تطوير آليات الحوارات الوطنيّة الهادفة في إطار مجلس الوزراء ومجلس النواب ولجانه المختلفة.

٢. على هيئات المجتمع المدنيّ العمل على:

- تطوير مهارات وتقنيّات الضغط والمناصرة.
- تعميق تجربة الحملات الوطنيّة في الشؤون المتعلّقة ببناء الدولة.

٣. على الإعلام العمل على:

- إبراز نشاطات الهيئات السياسيّة وهيئات المجتمع المدنيّ الهادفة إلى بناء الدولة.

○ | الأب بشاره الخوري، وفي مداخلته: القيم الروحيّة المشتركة وبناء الدولة، انطلق من أنّه لا بدّ لفهم مسألة أنّ لبنان رسالة بما هو نتاج تطوّر تاريخيّ لنمط تعايش الجماعتين الأساسيتين اللتين تشكّلانه: المسيحيّة والمسلمة، من قراءة تاريخيّة للدين وعلاقته بالدولة عند كليهما، ولكيفيّة تطوّر المؤسسة الدينيّة وعلاقتها بالسياسة وصولاً إلى تأكيد القيم الكامنة تاريخياً والتي ترسخ العقد الاجتماعيّ لبناء الدولة. فهذه القراءة، أضاف، لا بدّ منها لمعالجة إشكاليّة الحاضر، باعتبارها خلفيّة إرث ثقافيّ تبلور عبر العصور ليخلق مفهوماً وقيماً مشتركة، تصبّ كلّها في بوتقة، من شأنها العمل على بناء أرضيّة خصبة مع كلّ متطلباتها، من أجل قيام دولة تحترم الخصوصية من دون عوائق، أمام تكامل سليم... وهكذا نكون، ومن خلال العقد الاجتماعيّ بين الأفراد والعقد السياسيّ بين الجماعات، أمام تأسيس دستوريّ مركّب، يمكن للاتحادية أن تشكّل مدخلاً له أو مدخلاً لفهمه من دون





أن تكون حلاً في تعريفه من منظور دستوري.

أمّا قيم ومبادئ هذين العقدين، قال، فهي: الآخريّة، وتأمين حرّية الفرد والجماعة، والهويّة الحضوريّة للمسلمين والمسيحيين تجاه ربّهم وبعضهم، وتبادل الاحترام بين الأفراد والجماعات... وهي ما ينتج عنها الأمن الاجتماعيّ والأمن الوجوديّ والأمن الجسديّ للجماعات الثقافيّة بأمدائها التربويّة وامتداداتها الخارجيّة. ولذلك، ولأنّ الدولة هي نتيجة توافق، فإنّ أيّ مجموعة تذهب إلى التطرّف، تتسبّب في تهديد العقد الاجتماعيّ.

وبالإشارة إلى الطائفيّة، قال: النظام اللبنانيّ، في صيغة ضمانة لحقوق الجماعات والأفراد، يحاول تجاوز الطائفيّة من زاويتها القبليّة؛ فحقوق الجماعات هي مسألة أساسيّة، والقيم الناتجة عنها من التعدديّة إلى حماية تراثات وحرّيات الأقليّات ثمّ إلى التنوّع الثقافيّ، كلّها تتعلّق بحقوق الجماعات.

وتابع: إنّ المعنى السليبيّ الذي يعطى لهذه الجماعات في التضمين الطائفيّ، والذي يراد تجاوزه، يحتاج إلى ترسيخ لهذه الحقوق، وإلى إطلاق ديناميّات تفاعليّة حول القيم الروحيّة التي ينتجها الحوار، والتفهم، وقبول الآخر، والفرح باختلافه وعيش الحرّية سوياً، لأنّه

لا يمكن العيش بشكل منعزل. فالعبوديّة هي نظام من الإقصاء والانعزال، بينما الحرّية لا تحقّق إلاّ في الجمع.

وختم الأب الخوري: إذا، نستطيع اعتبار ما هو أكبر من بلد أنّه رسالة ومثال، يحمل معاني كثيرة للقيم الأساسيّة لبناء دولة، أي دولة الحرّية والتعدديّة، وذلك من خلال إعادة بناء ما تهدّم من صرح التاريخ، وإعادة اكتشاف فضيلة الرّجاء التي تتخطى الماضي. وإذا كانت الخلافات تفرض نفسها فلعلّ ما قاله جاك مارتان Jacques Maritain يصحّ فينا: «Plus un peuple est intelligent, plus ses divisions sont graves.»

○ | وتحت عنوان القيم الأخلاقيّة

والانسانيّة المشتركة ودور المؤسّسة التربويّة، جاء في مداخلة د. طلال عتريسي ما خلاصته: يشهد العالم مواجهة بين نوعين من القيم: تلك التي تريد تعميم نموذج أنّ الأسرع يجب أن يأكل الأبطأ، بعدما كانت تعتبر في مرحلة سابقة أنّ الأكبر يجب أن يأكل الأصغر. وهذه القيم تدعو إلى السرعة للحصول على ما نريد من الربح أو السلطة... بغضّ النظر عن شروط السباق وكيفيّة الوصول.

وتلك التي تريد التأكيد على القيم الانسانيّة والأخلاقيّة والدينيّة في علاقات الناس والأفراد وحتى الدول في ما بينها، بما في ذلك العلاقات السياسيّة والتجاريّة والثقافيّة وسواها. ما يهمّ هذا النموذج ليس الوصول بل كيفيّة.

الاهتمام بموضوع القيم في لبنان له علاقة مباشرة بانتمائه وبتقاليد. فهو بلد التفاعل بين الأديان السماويّة التي جعلت القيم والأخلاق هدفاً لها ولرسالتها. ولهذا الاهتمام اليوم أسباب أخرى، لها علاقة بالتدهور الذي أصاب هذه القيم في حياتنا.

مصادر القيم التي يحملها الانسان تأتي من: البيت، ومن المؤسّسة التربويّة، ومن المؤسّسات الإعلاميّة ومن المؤسّسة الدينيّة. وقد تتعارض هذه المؤسّسات في ما بينها في ما تبثّ من قيم.

الاضطراب الذي أصاب القيم في لبنان، لا تتحمّل المؤسّسة التربويّة وحدها مسؤوليّة. ففي هذه المؤسّسة، على اختلاف انتماءاتها، ليس هناك ما يتعارض مع القيم الأخلاقيّة والانسانيّة- أي قيم التسامح والمحبة والتعاون ومساعدة الفقير واحترام الضعيف وغير ذلك....- لكننا قد نلاحظ غياباً لقيم المواطنة في مؤسّساتنا التربويّة. وربّما هي تتأثر في ذلك بما يجري خارج جدرانها.

المؤسّسات التي تسيء اليوم كثيرًا إلى القيم الأخلاقيّة والانسانيّة هي المؤسّسات الإعلاميّة، وهي في بعض الأحيان المؤسّسات الدينيّة التي تقف خلف القيم السياسيّة لا أمامها لكي ترشدها وتوجّهها، وتكون حاكمة عليها بدل أن تكون محكومة لها.

على المؤسّسة التربويّة أن تحافظ على القيم التي تعطىها لطلابها بغضّ النظر عن تراجع نظام القيم في المجتمع؛ لأنّ المؤسّسة التربويّة هي تربة البناء الأساسيّة، وهي ما يتذكّره



ملف



التي تفرّقهم على يد السياسيين تارة، وعلى يد بعض رجال الدين تارة أخرى.

بين تلاميذ المدارس من مختلف الاتجاهات والانتماآت والمناطق، لكي يكتشف هؤلاء أنّ القيم التي تجمعهم أكثر بكثير من تلك

الانسان طوال حياته. وربما باستطاعة المؤسسة التربوية أن تخطو إلى الأمام من خلال تفعيل اللقاءات والأنشطة المشتركة

□ الندوة العاشرة والأخيرة، كانت بتاريخ ٢٠٠٩/٠٢/٥، تحت عنوان: خلاصات عامّة وتوصيات.

أدارها الوزير خالد قبّاني، وشارك فيها الدكتورة وسيم حرب وعبود القاعي وعصام نعمان والأستاذ سهيل مطر.



- | الوزير خالد قبّاني رأى أنّ الطائف الذي وضع ركائز بناء الدولة، قد فتح نوافذ كثيرة على التغيير والتطوير، فباتت الحاجة ملحة إلى تطبيقه تطبيقاً سليماً، واستكمال ما لم يطبّق منه، بما يبني وطناً ودولة، ولاسيّما:
 - تشكيل الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية وفق خطة مرحلية.
 - تكوين مجلس نواب على أساس وطني لا طائفي، واستحداث مجلس للشيوخ لتمثّل فيه جميع العائلات الروحية.
 - اعتماد اللامركزية الإدارية الموسّعة بما يضمن مشاركة الأهالي في إدارة شؤونهم المحلية والمشاركة في التنمية المحلية.
 - انتهاج الدولة سياسة إنماء متوازن للمناطق، تحقّق العدالة، وتشيع روح التضامن الوطني.
 - وضع قانون للانتخاب يؤمّن صحّة التمثيل السياسي على أساس التمثيل النسبي.
 - تعزيز السلطة القضائية المستقلة.
 - فصل النيابة عن الوزارة، وتحييد الإدارة اللبنانية عن الصراع السياسي، وتفعيل الإدارة وتحديثها.
 - تعزيز دور المجتمع المدني ومشاركته في الحياة العامة وفي صنع القرار السياسي، وتعزيز الثقافة السياسية والثقافة الدستورية.



- | الوزير السابق د. عصام نعمان انطلق من أنّ النظام اللبناني، في وضعه الحالي، أضحى خطراً على الكيان، الذي لا يمكن إنقاذه إلا بالانتقال إلى الدولة المدنية الديمقراطية، على أنّ السبيل إلى ذلك، انطلاقاً من تسوية الطائف التاريخية، إنّما بأن تحشد القوى الوطنية الحية جهودها في جبهة عريضة، ذات برنامجٍ إصلاحيّ، بقيادة مركزية، تعمل على اعتماد نظام التمثيل النسبيّ طريقاً أساسياً لتظهير حضورها في مجلس النواب، صانع القوانين. وإلاّ، فإننا نفسح في



السياسية وكلّ علاقاتها ومواقفها من الدول الأخرى يبقى كلاماً بدون معنى ما لم يتم بين اللبنانيين عقد لبناء الدولة، شأنهم اليوم في ذلك هو نفسه حينما كانوا يلجأون إلى عقد المواثيق لإنهاء الأزمات.. ولهم منها الكثير منذ العام ١٨٤٠.

لبنان، تاريخياً، هو دولة ميثاقية بالتكوين... وبالولادة... وبالتجدد.

مجتمعه تعددي، وحكمه توافقي، ونظامه يحمي حقوق الجماعات التي تجمعها قيم روحية وأخلاقية وإنسانية.. للمؤسسات الدينية والتربوية والثقافية دور، إمّا تعزيز هذه القيم وترسيخها والتربية عليها، وإمّا لتدميرها والتربية على النقيض منها.

أمّا الإشكالية المطروحة في بناء الدولة الميثاقية فمحورها مدى استعداد اللبنانيين وبيان قدرتهم، كأفراد لا كأبناء طوائف، على صوغ عقد اجتماعي لبناء هذه الدولة، وذلك على قاعدة التمييز بين العقد الاجتماعي الذي هو عقد بين أفراد أو مواطنين بصفاتهم الفردية، والعقد المجتمعي الذي هو عقد بين جماعات بصفاتهم هوية دينية أو ثقافية أو إتنية.

ما هو قائم بين اللبنانيين هو عقد بين طوائف، أي بين هويات جماعية؛ فهل بات ممكناً إجراؤه بين مواطنين، أي بين هويات فردية؟

الإجابة عن بناء الدولة في لبنان تبدأ من هنا.. وهي تحسم كلّ المقدمات وكلّ أشكال الدولة وأنظمتها السياسية وكلّ علاقاتها ومواقفها من الدول الأخرى..

وعليه، فالسؤال الذي يبقى مطروحاً اليوم، بمعنى السؤال الصحيح الذي يفترض بنا طرحه، هو ذلك السؤال الذي قد يقودنا إلى إعادة البحث عن روح القانون وعن تعثراتنا في استجلاب هذه الروح نظراً لتصلبات رموز الذاكرة المشدودة نحو معتقداتها التي تعيدها إلى أصولها الدامية والمؤلمة والعنيفة حيث العدا هو في أصل التكوين:

ما العمل اليوم لإعادة بناء الدولة عبر المواطنة الحقّة، والمواطنة الحقّة عبر القانون الحقّ، أي ذلك القانون المستند أولاً إلى روحه، أي إلى ذاكرة الإيمان التي تحييه، بمعنى ذلك القانون الذي لا يبني إلا في ذاكرة الإنسان وفي عمق نواياه الخلقيّة، عبر مواجهة بين التصلبات المبدئية والقائمة في كلّ حذب وصوب ضمن هذه الذاكرة وبين روح المحبة والعدل التي تكمن في الضواحي الصافية من قلبه المحبّ؟

وبعد أمثلة من زيارات إلى ذاكرتي الاعتقاد والإيمان، مبدئياً ألمه من انقسامات وانكسارات وخيبات، عاد فسأل: أين نحن من المشاريع التفكيرية في الجامعات؟ أين نحن من مشروع الانتقال من ذاكرة المعتقد إلى ذاكرة الإيمان، انطلاقاً من جامعة سيّدة اللوزة؟ ثمّ أنهى: لا بحث بعد اليوم من دون هذا الحلم.

○ | الدكتور ساسين عسّاف، وبعد أن استعرض أشكال الدولة المطروحة على اللبنانيين، من مدنية إلى فيدرالية إلى علمانية إلى حديثة في وثيقة الوفاق الوطني، فضلاً عن العلاقة بالدولة السورية والموقف من الدولة العبرية، انتهى إلى القول:

كلّ المقدمات وكلّ أشكال الدولة وأنظمتها

المجال إلى قيام كيانات منافسة للدولة، أو على الأقلّ لهذا النظام السياسيّ الماركنتيلي الطائفيّ الفاسد.

○ | الدكتور وسيم حرب، وبعد جولة أفق في النجاحات والمخاضات التي حققتها الندوات من دراسات ومناخات، أعلن أنّ توصيات ستصدر وأنّ كتاباً سيُنشر وأنّ أبحاثاً ميدانية ستجرى وأنّ مسيرة حوارٍ ونقاشٍ وتفعيلٍ ستواصل...

○ | الدكتور عبدو القاعي، الذي قارب الموضوع من زاوية الفكر الاجتماعيّ، رأى أنّ «للدولة التي هي الحالة العامّة للجماعات المنضوية تحت راية المجتمع الواحد، كما للفرد الذي هو الحالة الخاصّة للذات المنضوية في الجسم الواحد، قانون، هو، في كلّ لحظة من لحظات الوجود الفردية والجماعية، حصيلة المواجهة بين ذاكرتين متقابلتين ومتناقضتين داخل الطبيعة البشرية، هما: ذاكرة الاعتقاد، و ذاكرة الإيمان».

«وفي لفتة إلى لبنان، أضاف، أنّه تتصارع عليه اليوم ثماني عشرة ذاكرة اعتقاد، تفصل في ما بينها أقله ثماني عشرة معركة أليمة أبعدت هذه الذاكرات بعضها عن بعض وعن العطف الإنسانيّ الذي قد يعيد جذبها بعضها إلى بعض.

حوار الثقافات.. في برسا الشمال

برعاية وزير الثقافة الأستاذ تمام سلام، وبالتعاون مع الحركة الاجتماعية اللبنانية، دعت جامعة سيّدة اللوزة- برسا الشمال إلى حلقة بحثية حول حوار الثقافات، في ٢٠٠٩/١١/١٤.

□ في جلسة الافتتاح، قال المدير العام للعلاقات العامة في الجامعة الأستاذ سهيل مطر بحوار جديد يعتمد على ثلاثة: الايمان بحق الاختلاف؛ وبأن الحق ليس ملكاً لأحد؛ وبأن الحوار يهدف إلى تسوية تستند إلى قناعة عقلية، لا استبدال القناعات بالقوة أو العنف؛ مضيفاً: هذا الحوار يتجاوز حدود الأشخاص، وصولاً إلى الثقافات والجماعات والأديان والحضارات.

○ | رئيس الجامعة الأب وليد موسى انطلق من السؤال عن ماهية كل من الحوار والثقافة، ليقول في الحوار أولاً إنه علاقة تقوم بين مختلفين، لا متشابهين؛ وإنه الدعوة إلى وحدة البشر بمنأى عن الفواصل العرقية والثقافية والوطنية والاجتماعية.. بحسب مفهوم الكتلكة، أي الشمولية.

ثم ليقول في الثقافة ثانياً إنها مجموعة المعارف والعلوم والفنون والقدرات التي يحصلها الانسان بهدف مواجهة المستقبل، مستطرّداً، وعلى ضوء المجمع الفاتيكاني الثاني، إلى أنها كل ما يساعد الانسان على صقل طاقات عمله وجسده وتنميتها، ولهذا فإن الايمان المسيحي لا يندرج في التاريخ ولا يصنع التاريخ إلا ضمن الثقافة ومن خلالها.

وسأل الأب موسى أيضاً: كيف نحول الثقافات المتعددة إلى عامل سلام، لا حرب. وهل كانت الأديان إلا للسلام؟!

○ | رئيس الحركة الاجتماعية اللبنانية المهندس جون مفرّج، الذي دعا إلى جعل أرض الكورة مركزاً لمؤتمر الحضارات، لما تحتلّ من مرتبة عليا في نسب المتعلمين والمتفوقين، قال: قدر لبنان أن يكون واحة حوار، وقدر الثقافات أن تتفاعل وتتجاوز على مساحة الوطن كله. ولبنان الذي له أبعاده العالمية الباسطة أطرافها في زوايا الأرض كلها، عرف التحاور والتناغم ومارسهما، وعرف ثقافات الأرض وعاشها منذ أن كانت الثقافات، وفعل فعله في الحضارات كلها منذ أن كانت الحضارات. لبنان هذا ليس بقليل عليه، أن يفكر أبناؤه وأن يفكر الآخرون من دول ومنظمات دولية أن تكون أرضه أرض حوار الثقافات، وأن يكون حاضناً لكل حركة تفاعلية إنسانية ثقافية؛ فدعونا نبني روح السلام والحرية بين الشعوب، لأن هذا الوطن يستحق، بعد التجارب المريرة، أن يكون قبلة المتمتعّشين إلى تجربة الحرية والديمقراطية كما إلى تجربة قبول الآخر والعيش بسلام معه بعيداً عن أي تمييز لا باللون ولا بالدين ولا بالعرق.





وقف الإرهاب، أثبت للجميع أنه لا غنى عن عالم متعدّد الأقطاب، قوامه قبول الآخر والحوار والمشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية، عالم تسوده ثقافة التسامح واحترام الخصوصيات الدينية والثقافية للشعوب، عالم لا يعود فيه الآخر المختلف منافساً أو عدواً، بل يكون شريكاً في التنوع وفي إثراء الحضارة البشرية.

وهنا، تابع، يكمن دور لبنان؛ وهي فرصة لنا ليكون ريادياً بين مجموعة الأمم. وهذا الدور لن تقوم به الحكومة أو الدولة بشكل أعم، بل هي مسؤولية كلّ فردٍ لبنانيّ أن يعيش الانفتاح، وأن تكون حياته حواراً متواصلًا مع الآخرين... فالحوار ليس قراراً يتخذ، بل هو ثقافة وطريقة حياة نبينها ونكتسبها يوماً بعد يوم عبر البرامج التعليمية والثقافية والإعلامية والاجتماعية، في بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا وأعمالنا ووسائل الإعلام وفي كنائسنا ومساجدنا...

○ | **المفتي د. مالك الشعار** رأى أنّ ما يجعل لبنان رسالة هو التعايش في التنوع، على أنّ التعايش هو ثمرة التعارف والاعتراف والإيمان بالآخرين؛ ولن يتأتى لنا ذلك إلا إذا فهم كلّ فريق ممّا دينه واستوعب مقاصده والتزم بتكليفه وتعاليمه، وهذا ما يتيح وجود مناخ من شأنه أن يذيب كلّ النقوءات في إطار الأخوة الانسانية والوطنية، ويحفظ التوازنات، ويحقق الأمن والاستقرار والسلم الأهلي.

وأضاف: إنّ التفاوت القائم اليوم، وبغضّ النظر عن الواقع العالمي للثقافة، يحتاج إلى معالجة جذرية، وإلى إيجاد جوامع مشتركة على المفاهيم التي يمكن تطبيقها بصورة عملية على المستوى الوطني والعربيّ والعالميّ، والفهم المشترك لمجموعة قضايا تتعلّق بالإنسان.

ثمّ إنّ حوار الثقافات، أضاف، لا يؤدّي إلى نتيجة في حالات عدم التكافؤ... وهو لا يتمّ بالقوّة... ولا يؤدّي غايته في حالات الهيمنة والقهر والتسلط. بل إنّ حوار الثقافات يفترض المساواة التي تحقّقها من خلال النهوض بمجتمعاتنا وتحسينها، ومن خلال إنتاج ثقافتنا بدل الالتحاق بثقافات الآخرين. وإنّ بعض ما نقوم به في وزارة الثقافة يصبّ في هذا الاتجاه.

□ | **الجلسة الأولى، وعنوانها: لبنان أكثر من وطن.. إنّه رسالة،** أدارها الوزير خليل الهرابي، وتكلّم فيها مفتي طرابلس والشمال الشيخ د. مالك الشعار وراعي أبرشية طرابلس المارونية المطران جورج بو جوده.

○ | **الوزير خليل الهرابي** أشار أولاً إلى أنّ أكثر ما نحتاجه اليوم هو التلاقي والحوار لئلاّ تنطلق النزاعات وتتفجّر الصراعات مدمرة كلّ شيء. وأضاف: قد تبدو فكرة الحوار بين الحضارات عند الكثير مجرد تمنٍّ ومثل أعلى. إلاّ أنّ العجز العالميّ عن حلّ النزاعات، وعن

○ | **أمّا وزير الثقافة تمام سلام** فشدّد على أنّ الثقافة تشكّل البنية التحتية، التي تتحكّم بنجاح المشاريع الاقتصادية والسياسية أو فشلها في الأوطان، وأنها هي مجموع نماذج السلوك والفكر والإحساس، ومدرسة لحوار الانسان مع الذات أولاً، ومع الآخر ومع المحيط... وإلاّ فما قيمة الثقافة تعزل نفسها، فتقضي على المجتمع، ويتحوّل المثقّفون إلى جزر وعوالم تسبح في أفلاك نخبوية، لا علاقة لها بالواقع؟!

ولاحظ أنّ هناك اليوم نقاشاً دائراً حول أثر التحوّلات في النظام الدوليّ والتطوّرات في الثورة الاتصالية، على شكل التفاعل الثقافيّ والحضاريّ في العالم، ولاسيّما في العقود المقبلة. ولعلّ المشكلة الأساسية، قال، هي كيفية تمكين الأطر الوطنية، من إنتاج ثقافة قادرة على شدّ المواطنين، بعيداً عن الثقافة التغييرية التي تدخل بيوتهم وعقولهم، لأنّ الفارق واسع بين ما ينصبّ عليهم من الخارج بأساليب وتقنيات متطورة، وبين ما يحاولون إنتاجه بوسائلهم الذاتية.



به كما هو، والسعي معه إلى إيجاد قواسم أو جوامع مشتركة تساعدنا في ترسيخ هويتنا الدينية والوطنية في سبيل الوصول إلى بناء مجتمع متماسك يعيش فيه الجميع بتفاهم ويساهمون في بناء حضارة المحبة والسلام.

□ | الجلسة الثانية، وعنوانها:

حوار الثقافات لا صدام

الحضارات، أراها الوزير د. عادل قرطاس، وشارك فيها أمين عام اللجنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار الأمير حارس شهاب ورئيس الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي القاضي عباس الحلبي والمهندس جورج بو شديد.

○ | الوزير د. عادل قرطاس

انطلق من السؤال: هل الحضارة بحد ذاتها مدعاة للحرب، أم إنّ وراء الحروب أسباباً أخرى كالأطماع والمصالح الاقتصادية والعسكرية والسيطرة والاستعلاء...؟ وإذا كانت الحضارة مبنية على القيم والتطور التكنولوجي والثقافات ومن ضمنها: اللغة والعرق والعادات والتعامل مع الآخر، فهل هذا هو مدعاة للتناحر والصراع والحروب؟ ومن هنا، أضاف، ننقل في بحثنا إلى موضوع

كيف نغربلها ونأخذ منها الإيجابيات ونرفض السلبيات. فالحضارة الغربية الحالية أصبحت، لسوء الحظ، غالباً ما تميل أكثر إلى ثقافة الموت، بدلاً من أن تكون ثقافة حياة، عندما تسمح وتحلل أموراً كثيرة لا تأخذ بعين الاعتبار القيمة السامية للإنسان.

أمّا الخطر الثالث فهو، مع الإنتماء إلى ثقافة ووطن معيّنين، الطابع الحماسي والتمهؤس الذي يمكن أن يأخذه هذا الإنتماء، فيتحوّل إلى أصولية؛ وهذا أمر خطير جداً، إذ إنه قد يدعو إلى نبذ التنوع ورفضه، ما قد يؤدي إلى القومية المتعصبة وإلى العنصرية ورفض الغرباء. وهذا ما حصل بالفعل في بعض مراحل الحرب في لبنان، إذ أصبح المتحاربون يقتلون «على الهوية» من دون أيّ سبب يدعو إلى ذلك إلا لكون الآخر ينتمي إلى ثقافة أخرى أو دين آخر.

فالتعدّد الثقافي، قال بو جوده، هو غنى وثروة في لبنان، لكنّه بحاجة إلى توضيح وترسيخ. فالأحداث التي نعيشها أو التي عاشها آباؤنا وأجدادنا عبر الأجيال، تُظهر أنّ الشعب اللبناني لم يتوصّل بعد إلى تكوين هويته المميّزة، وهو بالتالي بحاجة إلى حوار بين مختلف الفئات المكوّنة له، من أجل الوصول إلى ما يمكن تسميته الجاعم المشترك.

وختاماً، رأى المطران بو جوده أنّ حوار الثقافات يدعوننا أولاً إلى معرفة الغير والقبول

وأضاف: إنّ كلّ ما حدث في لبنان هو بفعل الناس ومخططات الطامعين، وليس من الإسلام أو المسيحية. وعلينا، بالتالي، الإقرار بأننا نحن من أفرغنا الرسالة من معناها ومضمونها، سواء بتخليينا عن القيم والمبادئ العليا السامية وانجرافنا وراء أنانيّاتنا وأحقادنا الطائفية والمذهبية، أو بانسلاخنا عن جذورنا وتاريخنا ومحيطنا. ولنسأل أنفسنا أيّة رسالة تلك التي نحملها إلى العالم والآخرين، فيما نحن مختلفون على كلّ فاصلة وتفصيل وحتىّ على الشهداء الذين يسقطون من هنا وهناك!

○ | المطران جورج بو جوده، الذي عرض

لمفهوم الثقافة وللتعددية الثقافية في لبنان، رأى أنّ ثمة ثلاثة أخطار أساسية تعترضنا:

الأوّل، هو خطر الانقسام في الشخصية الاجتماعية، إذ تتجادب الإنسان اللبناني إنتماءات وهويات متعدّدة، سمّاها أمين معلوف: «الهويات القاتلة». وهذا الانقسام الخطير قد يحدث إذا لم يعرف الإنسان اللبناني «أن يهضم» كلّ المقومات الفكرية والثقافية ويجعلها متوافقة مع إنتمائه الوطني (الذي غالباً لا يوجد، إذ تُعطى الأفضلية إلى الإنتماء الطائفي...). وقد يصل الأمر أحياناً إلى الإنغلاق والعيش ضمن إطار ضيق جداً.

والخطر الثاني، هو خطر التآثر المفرط بما تحمله إلينا الثقافات الخارجية من تطوّر في التقنيات، فنلقفها بسرعة من دون أن نعرف



حوار الثقافات بدلاً من صراع الحضارات...

○ | الأمير حارس شهاب أكد بدايةً أنّ الحوار وحدّه هو القادر على إيجاد الحلول لمعضلاتنا.

ونحن، في لبنان، اكتسبنا خبرةً طويلةً في مجال الحوار الإسلامي-المسيحيّ تدفعنا إلى حملته كمشروع بديل إلى عالم يبحث عن محاور صراعٍ جديدة كالمجابهة المحتملة بين المسيحية والإسلام. وإنّ صوت جوهر العيش المشترك هو شرط أساسي لدفع هذا المشروع إلى الأمام، فيستمرّ المسيحيون في الإسهام به مع المسلمين بعد أن تتوفّر لهم سبل الاطمئنان إلى مستقبل هذا العيش، وأنهم ليسوا سائرين على طريق مسيحيّ معظم دول المنطقة هجرةً وتهيمشًا.

علينا، قال، أن نبقي أمناء لأصالتنا من جهة، ونكون من جهة أخرى جزءاً من الدنيا الجديدة ونعمل من أجل حداثةٍ تنبع من تراثنا، ونطوّر أنظمتنا السياسيّة وخطابنا الدينيّ ونظرتنا وممارستنا للحريّات والديمقراطيّة وحقوق الإنسان والمواطنة، ونقدم على إصلاحات هيكلية ضرورية في مؤسّساتنا

ونعمّم ثقافة الحوار ونسقط مقولة صراع الحضارات، فنُشارك، مسيحيين ومسلمين على قدم المساواة، في المسؤولية في صناعة الغد الأفضل الذي ننشده تحقيقاً لرسالة لبنان التاريخيّة.

وأضاف: إنّ الحوار الإسلامي-المسيحيّ في لبنان، الذي يندرج في سياق الحوار العالميّ، يهدف إلى تركيز دور لبنان كمشروع حريّة ومساواة، مشروعاً حضارياً متقدماً لمحيطه العربيّ والشرق أوسطيّ فالعالميّ، محققاً بذلك رسالته في إرساء قواعد العيش المشترك على أسس ثابتة تسهم في خير الإنسانية جمعاء. وإنّ إقبال باب الحوار يؤدّي إلى تقوية تيار التطرّف، بدليل أنّ القوى العقلانيّة تجد اليوم صعوبة كبيرة في إثبات حضورها وتسويق طروحاتها في ظلّ المناخات الشعبيّة السائدة المتوجّهة إلى تعميق حالة الفرز الطائفيّ، وهي أصبحت اليوم في وادٍ مختلف عن وادي طاولات الحوار.

○ | القاضي عبّاس الحلبي أبدى أسفه أن تتحوّل منطقتنا، التي شهدت ولادة الأديان السماوية الثلاثة، إلى بؤرة التوتر الرئيسيّة في العالم، التي تسمح للعنف بالسيطرة والرغبة في إلغاء الآخر، سبيلاً إلى حلّ الصراعات، مضيئاً: وإننا لا يمكن أن نقبل أن تكون أطروحة المتطرّفين ممثّلة لهذا الشرق المعقّد، والتي تأخذنا إلى مواجهة إطلاقيّة وتكفيرية وغير متكافئة مع الغرب.

والسؤال المطروح، قال، هو كيف نواجه معاً هذا الصدام، صدام الجهالات في كلا المعسكرين الشرقيّ والغربيّ؛ أو كيف لنا أن نجد من خسائره وارتداداته السلبية؛ بل كيف لنا أن نعزّز حوار الثقافات أمناءً على تاريخنا في هذه المنطقة؟!

وتابع: إذا كان الحوار مأزوماً، فلأنّه لا يقتصر على ارتدادات السياسة الخارجيّة على منطقتنا فحسب، بل لعلنا، في هذه السياسة، نلاحظ ما يجري حتّى داخل لبنان من تعطلّ لقنوات الحوار واستعادة لغة التهديد والإلغاء وتعميم الشتم والاستباحة بعدما انزلق لبنان من دولة إلى ساحة، ما سمح للدويلات بالازدهار والانتشار؛ فبلد العيش المشترك بات يفتقد إلى الكثير من المشتركات...

أمّا دعوة رئيس الجمهوريّة ميشال سليمان لجعل لبنان مركزاً لحوار الثقافات فتستوجب، لصحّتها، أن يكون اللبنانيون على مستوى هذه الدعوة بأن يعيدوا الاعتبار له فيما بينهم قبل دعوة الآخرين إليه، وهو الذي لا بديل عنه إلاّ المواجهة والاحتراب. ولذلك، على أهل الحوار أن يتحلّوا بالشجاعة والإقدام، لأنّ الواقع الخطير ينذر بإفراغ لبنان من كفاءاته وأبنائه، ويخطر إبقائه في أيدي القلّة الطائفيّة المسيطرة بما تملك من أدوات كثيرة.



الثقافات هي الطاقة المؤددة للتكامل من أجل التقدم والتطور. ولبنان يشكّل نموذجاً لهذه التعددية في الثقافة الدينية، وهو نموذج نادر في العالم، ولذا أطلق عليه قداسة البابا «لبنان أكثر من وطن.. إنه رسالة»؛ وانطلاقاً من ذلك فهو مختبر فعلي للحوار.

○ | السفير فؤاد الترك بنى

مداخلته على جملة أسئلة: لماذا لبنان؟ وأي لبنان نريد؟ وهل نريده بلد تسوية؟ وما قيمته ودوره، ولماذا وكيف يكون ذلك؟

لبنان الذي نريد، قال، هو لبنان اللبناني المنفتح على محيطه الأقرب وعالمه الأرحب. ولا نريده بلد تسوية، لأن التسوية هدنة بين حربين، وهو لم يعد يتحمّل التسوية، بل يحتاج إلى حلّ يثبت الكيان ويرسخ الوجود ويعزّز الحضور. أمّا قيمته فمن دوره في العالم. وهنا أوضح: إن المبادرة التي أطلقها تقوم على السعي لاستصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتماد لبنان مقراً لحوار الأديان والحضارات والثقافات والإثنيات، من شأنها أن تجعل من لبنان نموذجاً للإنسانية جمعاء في الحياة المشتركة وفي

○ | الوزير أسعد دياب، وانطلاقاً من القول «نحن لا نستطيع أن نتكهن بالمستقبل، لكننا نستطيع إعداده»، بدا له أنّ اليقظة الثقافية في عصرنا الحاضر هي التي تعدّ للمستقبل، وهي وراء أغلب النزاعات في ظلّ عولمة تحفز الهيمنة الثقافية فتدفع الجماعات إلى الانكفاء على الهوية والارتداد إلى الأصولية من خلال التشبث بالتراث إلى حدّ أدلجته، ممّا ينمي منطق التفتيت لا منطق التجانس، ويعزّز الصراعات والتفتت إذا لم يتمّ تدارك ذلك والتصدي له. والسبيل إلى ذلك، قال، لا يكون بإثارة صراع الحضارات، وإنما بتفاعل الحضارات وتكاملها وتعاونها، لأنّ الصراع، بمفهومه الحقيقي، ينتهي بغلبة أحد على الآخر أي يصصره فينهي، وهذا هو الخطر بحدّ ذاته على مستقبل البشر الذين خلقهم الله ليتعارفوا. ولا يكون ذلك إلا بالحوار بين الثقافات بروح منفتحة ومتسامحة ومتفهمة، لأنّ الإنسان عدو ما يجهله، وهذا هو الطريق الصحيح نحو مستقبل أفضل. والتعددية في

○ | المهندس جورج بو شديد عرف الحضارة والثقافة، وخلص إلى القول: وإذا اعتبرنا أخيراً أنّ لكلّ حضارة ثقافتها، فإنّ هذه الحضارة تسعى من خلال هذه الثقافة إلى أن تميّز بالقبول والالتقاء أو بالرفض والتعارض.

أمّا اليوم ومع التوجّه الحالي للعولمة، أضاف، فلست أدري إن كنّا نتّجه نحو المزيد من التنوع المثمر عبر حوار الثقافات، أم نحو توحيد يفقد حضارتنا تنوعها ويفقرها. والخطر الأبرز هو أن يحوّل الصراع الثقافي إلى مجموعة عقائد أصولية متطرّفة مدمّرة؛ علماً أنّ تفهم الغير واحترامهم من أهمّ مبادئ الحوار الشخصي والاجتماعي...

□ | أمّا الجلسة الثالثة فجرت تحت عنوان:

لبنان المختبر، بإدارة الوزير د. أسعد دياب، ومشاركة السفير السابق فؤاد الترك والأساتذتين محمّد السمّاك وحبیب افرام.





وما لم ترفع العراقيل من طريق هذه التجربة لتكتمل نتائجها وتواصل تربيوتاً وثقافياً واجتماعياً ومن ثم سياسياً، فإن لبنان الذي لا يحسن التعلم من أخطائه، سيبقى مختبراً مفتوحاً لاجترار التجارب المرّة التي مرّ بها في السابق.

○ | الأستاذ حبيب افرام، وبعد أسئلة ساخنة ومقلقة، قال: نحن لسنا وطنًا ولا مختبرًا، نحن بين بين، لأننا: في شبه دولة منذ الاستقلال، وفي شبه إقطاع، وبلا ولاء وطني صاف، وغير متفهمين على معنى لبنان، وبلا محاسبة، وقطعان وراء زعماء، وتحت خمسين مليار دولار دين، وبلا أفق ولا حلول، ونستدرج الخارج لنربح في الداخل، وكلنا دائمًا على حق...

ومع ذلك، فإن لبنان فريد مميّز بنكهة خاصة: تشارك وتوازن- لا دين رسمياً للدولة والحريّات الدينيّة كاملة للجميع والرئيس مسيحي- وفي كلّ مسيحي شيء من الإسلام وفي كلّ مسلم شيء من المسيحيّة- حرية في التعليم والاستشفاء والأحوال الشخصية والإعلام- حرية سياسية- تنوع ثقافي- إرادة عيش مشترك... فهو كلّ ما تريد: أكبر أن يُبلع وأصغر أن يقسم، وأكثر من بلد وأقل من وطن ودولة. نحن فكرة. وغدنا هو ما نصنعه نحن. فالوطن نضال دائم متطور متحرّك.. عمل من أجل إنسان.

والتعاطف والدعم وغدرات الزمان، وما يبعد العنف ويوفّر الاستقرار والسلام ضمن التنوع ويشيع المحبّة والألفة ويعزّز الثقة بقدرة الوطن، ويدفع إنسانه إلى الإبداع والابتكار.

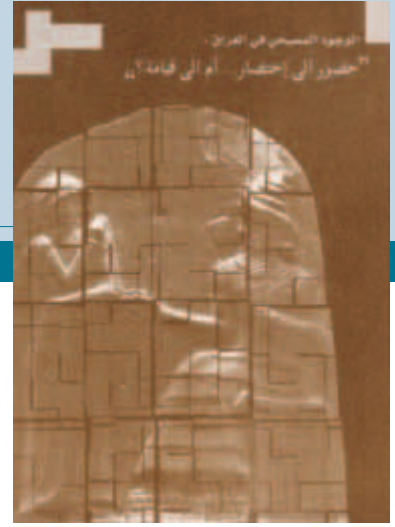
○ | الأستاذ محمّد السمّك، وأخذاً بمبدأ الاستبعاد élimination توصلنا إلى ما هو صواب وصحيح، أثار جملة تجارب أخضع القادة اللبنانيون لبنان لها، وبأت جميعها بالفضل، بل تسببت في نتائج مدمّرة، وهي: الاستفراد والنهميش- التحالف مع الخارج ضدّ الداخل- التوقع في شبه دويلات على حساب الدولة الواحدة- إلغاء الآخر المختلف- تحويل لبنان إلى مسرح مفتوح للصراعات الإقليمية والدولية- التفرد في مواجهة إسرائيل.

ثمّ أضاف: تبقى تجربة سابعة، هي وحدها التي لم يُسمح لها أن تثبت أقدامها وتأخذ مداها، وهي تجربة العيش الوطني المشترك على قاعدة احترام الاختلافات وقبول الآخر المختلف كما هو وكما يريد أن يكون.

وتابع: لم تعط هذه التجربة، التي اعتمدت الحرية الفردية والجماعية مبدأ وقاعدة، الفرصة الكاملة لإثبات جدواها وفعاليتها، إذ إنّ معاول الهدم سرعان ما كانت تنهال عليها من الداخل ومن الخارج، بما يحول دون تكريسها أساساً لوحدة لبنان ورسالة إنسانية خلاصية لمجتمعات التعدّد الأخرى في المنطقة، بل وفي العالم كلّها كما كان يقول البابا الراحل يوحنا بولس الثاني.

التفهم والتفاهم، وفي الإنفتاح على الآخر، والاعتراف بالآخر، وفي إشاعة الأمان والاطمئنان بين البشر على تعدّد أصولهم ومعتقداتهم وإيماناتهم، إذ كيف لهذا الحوار أن يتحقّق على مستوى الكرة الأرضية، أي على مساحة ١٥٠ مليون كيلومتراً مربعاً، إذا استحالت تحقيقه على مساحة عشرة آلاف كيلومتر مربع. وطبيعي أن مثل هذا المشروع، إذا أتيح له أن يرى النور، لا بدّ أن يستتبعه مبنى في لبنان، ونظام وآلية عمل وباحثون وجهاز إداري وأخصائيون كما هي حال سائر منظّمات المنظومة الدولية.

وأضاف: صحيح أننا نطمح لأن يكون لبنان جامعة الشرق ومستشفاه وفندقه ومصرفه وإعلامه، ولكن أن يصبح مقراً معترفاً به دولياً كمقرّ نموذجي لحوار الحضارات فهو ما يعطي لبنان هويته الحقيقية ومعناه بحيث يشعر كلّ إنسان إلى أيّ دين انتمى وإلى أيّ طائفة أو لون أو جنس أو معتقد أو أيّ مضطهد بسبب ذلك، أنّه في بيته تماماً، وأنّه يمارس حريته الكيانية على أكمل وجه في السرّ والعلن وباحترام متبادل مع الآخر يتحسّس همومه وهواجسه ومشاعره ويشاركه الحياة بخلقية وكرامة وسماح، وهو هذا ما يؤمّن له الحماية والحصانة



الوجود المسيحيّ في العراق

الوجود المسيحيّ في العراق «حضور إلى احتضار... أم إلى قيامة؟»

المؤتمر انتهى إلى جملة توصيات، هذا نصّها:

بنتيجة الاجتماعات التي رافقت التحضير لهذا المؤتمر بين ممثلي الكنائس المنظمة له، والتداول الذي تمّ، خلالها، في موضوع الوجود المسيحيّ في العراق، وبعد الاستماع إلى آراء المحاضرين وآراء شخصيات أخرى روحية وزمنية معنية في هذه المسألة، تمّ التوصل إلى التوصيات التالية:

أ. نوصي الكنائس المشرقية في لبنان بـ:

١. جعل العام الحاليّ ٢٠٠٩ «عام الوجود المسيحيّ في العراق»، يُعبّر عنه ببرامج ثقافية ودينية، ومساعدات إنسانية.
٢. تنظيم يوم صلاة موحد في جميع الكنائس في لبنان من أجل مسيحيّ العراق.
٣. تشكيل هيئة عليا تعنى بقضية اللاجئين المسيحيين العراقيين في دول الجوار، بالتنسيق مع الحكومات المعنية والمرجعيات الكنسية.

فيما يستمرّ نزوح المسيحيين من العراق. لينضمّوا إلى أكثر من ثلاثمئة ألف آخرين غادروا منذ العام ٢٠٠٣. وفيما الخوف والقلق. بعد أحداث الموصل وسواها. سيفاً مسلطاً فوق الرؤوس. ما ينذر بالمزيد من الهجرة. فقد تلاقت الكنائس المشرقية في لبنان (الكلدان، الأشوريون، السريان الأرثوذكس، السريان الكاثوليك). وبالتنسيق مع سائر الكنائس وبمشاركة المسلمين. على عقد مؤتمر في جامعة سيّدة اللويزة. في ٢٠٠٩/٠٢/١٩. لعرض هذه المسألة الخطيرة واقتراح ما يمكن أن يؤدّي إلى احتوائها. ولاسيما أنّها وبالتالي مقدّمة ومدخل لمقاربة الوجود المسيحيّ في الشرق عامة. وقد أضفت رعاية البطريرك المارونيّ الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير على هذا المؤتمر بعداً مسيحياً مشرقياً شاملاً تخطّى الوجود المسيحيّ في العراق.

شمل المؤتمر. إلى جانب المحاضرين من عدّة طوائف وعدّة بلدان ومن بينها العراق. شهادات حيّة وأخرى مصوّرة لعراقيين مسيحيين مهجرين. ووثائقاً بعنوان: «يرحلون ويرحل معهم التاريخ» من إعداد عاصي زياد الرحباني. كانت جميعها مؤثرة ومحفزة...



الوجود المسيحي في العراق

٤. تعديل الدستور على أساس المواطنة كمقياس حقيقي في الحياة العامة، وليس الدين أو القومية.

٥. ضمان حق عودة المهجرين، وتسهيل إستعادة أملاكهم، وتعويضهم عن الأراضي التي تمّ وضع اليد عليها بحجّة المنفعة العامة.

٦. تشجيع المغتربين على العودة إلى العراق، والإستثمار في مناطقهم. وسنّ القانون الخاص بإعادة الجنسية العراقية لمن أسقطت عنه إبان الأنظمة السابقة.

٧. إيلاء الأهتمام بالمناطق المحرومة، والإسراع في إقامة مشاريع إنمائية لخلق فرص عمل للسكان.

عودة إلى وقائع المؤتمر:

○ | رئيس جامعة سيّدة اللويزة، الأب وليد موسى، الذي أكّد «أنّ استقبالننا لهذا المؤتمر، ليس استضافة فحسب، بل هو تعبير عن تعاطف إنسانيّ مخلص، وعن مشاركة عربيّة صادقة، وعن إيمان مسيحيّ بأنّ القيامة لا بدّ آتية»، قال: «إننا، كجامعة، نجد من واجبنا

د. نوصي جامعة الدول العربيّة، ومؤتمر الدول الإسلاميّة بـ:

١. إصدار قرارات تساهم في حماية الوجود المسيحيّ في العراق وسائر بلدان الشرق.

٢. العمل مع المرجعيّات الدينيّة الإسلاميّة لإصدار الفتاوى التي تحرّم الإعتداء على المواطنين المسيحيّين المسالمين في العراق.

هـ. نوصي السلطات العراقية بـ:

١. ضمان تمثيل عادل للمسيحيّين في البرلمان. أمّا في مجالس المحافظات فيقترح اعتماد ما ورد في المادّة ٥٠ قبل إلغائها.

٢. تطبيق قانون المادّة (١٢٥) من الدستور، التي تنصّ على ضمان الحقوق الإداريّة والسياسيّة والثقافيّة والتعليميّة للقوميّات المختلفة.

٣. ضمان فرص عمل بشكل متساو بين العراقيّين كافة، بعيداً من المحاصصة الطائفية والتهميش.

ب. نوصي السلطات اللبنانيّة بـ:

١. منح إقامات مؤقتة قابلة للتجديد للاجئين العراقيّين، مع إعفائهم من الرسوم والضمانات الماليّة التي تتطلبها هذه الإقامات.

٢. تسهيل حصول اللاجئين العراقيّين على الخدمات الاجتماعيّة (صحّة، تعليم...)، بالتنسيق مع مفوضيّة شؤون اللاجئين والمنظّمات الإنسانيّة، والحكومة العراقيّة.

ج. نوصي المجتمع الدوليّ ومنظّمة الأمم المتحدة بـ:

١. تنظيم مؤتمر يدرس موضوع «الأقليات في العراق»، بهدف ضمان إستمرار وجودها وتفعيل دورها.

٢. فتح مكاتب للأمم المتحدة بالتنسيق مع الحكومة العراقيّة في المناطق متعدّدة الأعراق والأديان، بغية رصد الإنتهاكات، مع اعتماد نظام الحماية اللازمة.

٣. العمل مع الحكومة العراقيّة لتطبيق المواثيق الدوليّة المتعلّقة بالشعوب الأصليّة.

٤. زيادة المساعدات المقدّمة للعراقيّين المهجرين داخل العراق وخارجه، مباشرة أو عبر الحكومات المعنيّة، مع ضمان وصولها إليهم.



«حضور إلى احتضار... أم إلى قيامة؟»

خاصّ. مأساة العراق كبيرة، وكلّ يوم تسقط على أرض العراق ضحايا، وتهجير عائلات، وتفجّر بيوت وحوانيت. وهناك نزيف مستمرّ. وهذا كلّ يورث القلق والاضطراب.

صحيح أنّ المسيحيّ المؤمن بالله، مهما اشتدّت عليه المصائب، وأحاقت به الملمات، يعرف أنّه ما من أمر يحدث له أو لسواه إلاّ بسماع منه تعالى. ولكنّه على الرغم من إيمانه به تعالى، يجب أن يحتاط لنفسه ليقبها المخاطر، كتلك التي يتعرّض لها العراقيّون كلّ يوم.

إنّا إذ نشارك العراقيّين على اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم قلقهم على مصيرهم من جرّاء ما يتعرّضون له كلّ يوم من أخطار، نسألّه تعالى أن يقصّر عليهم أيّام المحنة ويؤتيتهم رباطة الجأش ليتغلّبوا على محنتهم، وأن يخرجوا منها أقوى ممّا كانوا عليه قبلها.

وإنّا نوّكد لهم جميعاً أنّنا معهم، ونسأل الله، بشفاعته والدته البتول، أن يخرجهم من محنتهم ويسوّل لهم السبل العطاءات في كلّ القطاعات التي عوّدوا الناس عليها.

○ الكاردينال عمّانويل الثالث دلي، بطريرك بابل على الكلدان، وفي رسالة إلى المطران ميشال قسارجي، قال: «إنّي أشكركم غاية الشكر على هذه المبادرة الجميلة، وأتمنّى لكم وللمؤتمرين الأحباء

قدر لبنان. فالمسيحيّون في لبنان آلوا على أنفسهم الانفتاح على كلّ الكنائس المشرقيّة والالتزام بقضاياها ومصيرها. وفي هذا المجال، نرى بأنّ الكنيسة المارونيّة هي خير من يشاطرنا هذا الهمّ ويحمل معنا هذه القضية، فتضفي على هذا المؤتمر أبعاداً إنسانية تتعدّى حدود البلدان وفوارق العقيدة. فالمرارة حافظوا عبر التاريخ على الذات والشخصيّة والهويّة المشرقيّة السريانيّة بانفتاح وتكامل ثقافيّ مع المحيط الغربيّ والمشرقيّ. كما دأبت هذه الكنيسة مؤخّراً في مجمعها على البحث عن الطريقة المثلى لإعادة تكوين المجتمع المسيحيّ في لبنان والشرق. ولذلك كلّ نضع هذه القضية بين يدي غبطة البطريرك، منتمين رعايته لهذا المؤتمر. وإنّ جميع المسيحيّين العراقيّين فرحون لأنّ قضيتهم هي من ضمن الهموم التي يراها سيّد بكركي من موقعه المميّز في هذا الشرق.

○ صاحب الرعاية الذي شملّ بالبركة الرسوليّة رئيس الجماعة وجميع المشتركين في المؤتمر، وأثنى على المبادرة، قال في رسالته التي تلاها المطران يوسف بشاره: الموضوع هو موضوع الساعة. والسؤال المطروح ما هو مصير مسيحيّ العراق بوجه

التربويّ الثقافيّ الحضاريّ أن نرفع الصوت دفاعاً عن حرّية العراق وحقوق شعبه؛ ولا نميّز بين مسيحيّ ومسلم، وبين سنيّ وشيعيّ، أو بين عربيّ وكرديّ. ولهذا ننادي الجامعات ومراكز العلم والتربية في العالم إلى وقفة مع الحقّ والحقيقة، دفاعاً عن حرّية العراق وعن حقوق شعبه وعن الحضور المسيحيّ الفاعل في هذا الوطن الجريح».

○ المطران ميشال قسارجي، رئيس الطائفة الكلدانيّة في لبنان، أوضح: ونحن الكنائس المشرقيّة في لبنان نعيش منذ زمن بعيد معاناة أهلنا في العراق، لأنّ أجدادنا مرّوا بنفس التجارب قبل لجوئهم إلى لبنان. لذلك، فإنّ تفاعلنا هو مع قضية تجري في عروقتنا وساكنتها في وجداننا. ونحن مقتنعون بأنّ الجماعة المسيحيّة المتبقية في الشرق مهدّدة بالاضمحلال، ما لم تسع إلى تحصين نفسها. وذلك يمرّ حكماً بتأمين حدّ معقول من التضامن المخلص بين مكوّناتها.

إنّ هذا البعد المسيحيّ المشرقيّ للتفاعل مع مأساة أهلنا في العراق يتجلّى بأحسن صورته في لبنان ومع كنيسة لبنان، بفعل تشابه الظروف والمعاناة، ولأنّ هذا الدور الرياديّ هو



الوجود المسيحي في العراق

○ | الأستاذ باسم بلو، قائم مقام قضاء تَلْكِيف الذي أشار إلى ما يجري من مناقشة ودراسة لموضوع التعايش السلمي بين جميع الفئات والأديان الموجودة في الشرق الأوسط وتحديداً ما يعانيه العراقيون في ما بينهم، توقّف عند الجوانب السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تؤوّل إلى إعادة الثقة للمواطن المسيحيّ بمجتمعه العراقيّ. ففي الجانب السياسيّ طالب بـ:

١. توفير الأمن والاستقرار والعمل للحدّ من استهداف المسيحيين، وكذلك إشراكهم في الأجهزة الأمنيّة، وتحديدًا في المناطق التي يشكّلون فيها الأغليبيّة (سهل نينوى) وإنهاء وجود كلّ الميليشيات الموجودة في هذه المناطق.

٢. إزالة سياسات التهميش والإقصاء بدءاً من الوزارة ونزولاً...

٣. تفعيل المادّة الرابعة من الدستور من خلال فتح مديريّة عامّة للتعليم السريانيّ في بغداد.

٤. سنّ القانون الخاصّ بالمادّة ١٨/ثالثاً آ من الدستور لإعادة الجنسيّة العراقيّة لمن أسقطت عنه إبان الأنظمة السابقة.

المؤسّسات: كالجيش والشرطة، وفتح الحدود من دون رقابة ومخازن الأسلحة للنهب والسلب.

٢. دول الجوار، لها نفوذها وتأثيرها المباشر في الداخل العراقيّ.

٣. صراع القوى السياسيّة الداخليّة الكبرى على السلطة، واستئثارها بورقة الأقليّات لكسبها لصالحها بالتهديد أو الترغيب.

٤. الخطاب الدينيّ الإسلاميّ المتشدّد، والدعوة إلى إقامة «نظام ثيوقراطيّ» كان له أثر كبير في محنة المسيحيين، فدمجوا بالمحتلّ ولا علاقة لهم به ولا بالصليبيين وقد عانوا منهم، واتّهموا بالكفر والشرك وهم براء منهما.

٥. الشعور بالغبن والتهميش في التمثيل والمشاركة في مؤسّسات الدولة.

٦. دور بعض وسائل الاعلام في الإثارة والتهويل والترهيب..

٧. البطالة وفقدان دولة القانون فتحت المجال أمام اللصوص ليصلوا ويجولوا.

النجاح في هذا الاجتماع المقام من أجل خدمة المسيحيين في العراق والبقاء في بلدهم ووطنهم المحافظة على وجود المسيحيّة في أرض الرافدين المقدّسة بدماء أجدادنا وإخوتنا الشهداء.

○ | رئيس الجمهوريّة العماد

ميشال سليمان توجّه بتقديره

للقيمين على سعيهم إلى طرح مشكلة أطلّت برأسها بحدّة في

الفترة الأخيرة، مع ما تولّده من

انعكاسات على الوجود المسيحيّ

في المنطقة التي تشكّل مهد ولادة

الأديان السماويّة، وتأثير ذلك على

رسالة التفاعل الإيجابيّ للمعتقدات

الدينيّة المختلفة فيها، قائلاً في

رسالته: إنّ تجربة العيش المشترك

التي نعيشها في لبنان، عمّقت

قناعتنا بأنّ احترام المجموعات

المكوّنة للمجتمع بعضها للبعض

الآخر هو السبيل الوحيد للحفاظ

على خصوصيّات هذا المجتمع

واستقراره وازدهار شعبه. وهو

توجّه يلتقي حتماً مع روح الحضارة

التي يسعى عالم اليوم إلى

ترسيخها، والمرتكزة إلى حوار

الثقافات والمعتقدات والمجموعات

الدينيّة المختلفة، بدل تنابذها

وسعيها إلى إلغاء الآخر، أو التسلّط

عليه على أقلّ تقدير.

○ | المطران لويس ساكو، رئيس

أساقفة كركوك للكلدان، اقترح

حلولاً من منطلق أسباب المأساة،

وهي عديدة ومعقّدة:

١. الأمريكان باحتلالهم العراق

ارتكبوا أخطاء جسيمة بحلّ



«حضور إلى احتضار... أم إلى قيامة؟»

بالعودة إلى بغداد والديار، أو بالمغادرة إلى أوروبا وأميركا وكندا وأستراليا ونيوزلندا، حيث سيكونون أمام حلٍّ من ثلاثة: العودة أو الاندماج أو إعادة التوطين.

وبعد أن بين أنهم كلهم، وبشكل عام، ليسوا مرتاحين، بفعل الانتظار والاستقرار، ختم مداخلته ببعض الأفكار التي نتداولها عادةً عند الحديث عن المقتلعين المسيحيين العراقيين من ديارهم، وفي كثير من الأحيان عن هجرة المسيحيين من أي بلد في الشرق العربي.

فالمسيحي، وبعد مرور /١٤٠٠/ سنة ونيف على ظهور الإسلام، ما زال هو الآخر في المجتمع، أي عملية الاندماج الكلي في المجتمع لم تحصل. ولهذا، فعندما يُضطهد علناً، ويُطلب منه بأن يغادر منزله أو مدينته أو وطنه، يتذكر أنه الآخر في المجتمع، ولا أحد يستطيع أن يحميه. ويفكر بعض المسلمين أن المسيحي الشرقي مرتبطٌ ذهنياً بالغرب المسيحي، وهذا فكر خاطئ جانا منذ مجيء الفرنجة،

فالمسيحي أمام موجات الاتهام لا يتلقى مساعدات دعم سلمي إنساني أخلاقي من الغرب، ولا يرى أخاه المسلم يمتلك شجاعة إعلان حماية أخيه المسيحي في مجتمع تسوده الأغلبية الإسلامية. ولهذا، فشعور المسيحي يوماً بعد يوم يزداد في أن بعض المسلمين مسؤولون عن إلغاء المسيحية الشرقية، لا بل بعض المسيحيين يعتقدون أن بعض المسلمين أصبحوا فعلاً مصدر تهديد لهم...

وفي الجانب الاجتماعي دعا إلى أن تلعب مؤسسات المجتمع المدني دوراً كبيراً في توعية المجتمع وممارسة الضغط على هيئة الأمم المتحدة ووزارة حقوق الانسان العراقية لإيقاف حالات انتهاك حقوق الانسان على اختلافها؛ وإلى الحفاظ على جملة عوامل لإبقاء العائلة راكنة من أمن وحالة اقتصادية ودور للمرأة.

واقترح في الجانب الاقتصادي أن تتبنى الحكومة تنفيذ مشروع ري الجزيرة، الجزء الشرقي، الذي يخترق مناطق سهل نينوى من تلكيف إلى الحمدانية، ما ينعش الاقتصاد في هذه المناطق، ويجلب المستثمرين لتطوير الزراعة وفق التكنولوجيا الحديثة؛ وأن تتبنى المنظمات والمؤسسات الدولية مشروع تقديم القروض الصغيرة لأصحاب المهن والحرف؛ وأن يقوم المهاجرون العراقيون من المهتمين بالشأن القومي باستثمار أموالهم في سهل نينوى، لكونه مستقراً وآمناً.

○ | المطران يوحنا ابراهيم، رئيس طائفة السريان الأرثوذكس في حلب، أوضح أن الإحصاءات المطروحة حول النزوح المسيحي من العراق إلى سوريا ليست دقيقة ولا صحيحة. فعددهم يتناقص باستمرار إما

٥. تنظيم قانون المادّة (١٢٥) من الدستور والتي تنصّ على ضمان الحقوق الإداريّة والسياسيّة والثقافيّة والتعليميّة للقوميّات المختلفة.

٦. تنظيم القانون الخاصّ بالأحوال الشخصية حسب المادّة ٤١ من الدستور لكي يتمّ رفع الغبن الحاصل عن الأولاد القاصرين من المسيحيين، في حال إعلان أحد الأبوين إسلامهم.

٧. ضمان التمثيل العادل في البرلمان.

٨. إزالة كلّ حالات التغيير الديمغرافي التي حصلت إبّان الأنظمة السابقة، فضلاً عن إعادة الأراضي إلى أصحابها وتحديداً في سهل نينوى.

٩. إعادة العشرات من القرى والأراضي المغتصبة في شمال العراق (إقليم كردستان العراق) إلى أصحابها.

١٠. العمل على إيقاف نزيف الهجرة عبر ممارسة الضغط على هيئة الأمم المتحدة والدول المانحة للجوء.



الوجود المسيحي في العراق

لهم جميعاً. فالحديث يطول. ولكن أكتفي بالإشارة إلى ما يلي:

أولاً: إنَّ حماية الوجود المسيحي في العراق، كما في أيّ دولة عربيّة أخرى، هو أمر ضروريّ للعراق ولكلّ دولة عربيّة أخرى. فهو ضروريّ ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وبالتالي هو ضروريّ حضارياً.

ثانياً: إنَّ الوجود المسيحيّ في الشرق عامّة يقدّم في حدّ ذاته دليلاً على سماحة الإسلام (وليس على تسامحه)، وترجمة عمليّة لما يقول به من أنّ ديانتي أهل الكتاب المسيحيّة واليهوديّة هما ديانتان سماويّتان، لا يكتمل إيمان المسلم بل لا يكون أساساً من دون التصديق والايمان بهما.

ثالثاً: إنَّ تمتّع المسيحيين في العراق وفي سائر الدول العربيّة الأخرى بحقوقهم الوطنيّة الكاملة وبحريّاتهم الدينيّة الكاملة، يوجّه رسالة إلى العالم الغربيّ بأنّ الإسلام ليس رافضاً للأخر، بل على العكس إنه متعايش معه ومتكامل به. ومن شأن ذلك أن يمكّن المسيحيين المشرقيين من أن يكونوا شهوداً على العيش المشترك، ممّا يرفع الغبن عن المسلمين في بعض المجتمعات الغربيّة التي

وأضافت: إنَّ ضعف التنظيم السياسيّ وتفكّكه وصعوبة الانسجام بين رؤساء الطوائف المسيحيّة، تنعكس سلبيّاً على باقي المستويات وتحول دون تحقيق خطاب موحد... فمعالجة وضعنا الذاتيّ هو جزء كبير من المعالجة العامّة لجهة استنصار شأننا في المعادلة العراقيّة تمثيلاً ووظائف ودوراً حضارياً تأسيسياً وتوصلياً...

○ | الأستاذ محمّد السمّك، أمين عامّ اللجنة الوطنيّة الإسلاميّة- المسيحيّة للحوار، تناول دور المسلمين في حماية الوجود المسيحيّ في العراق، على ضوء العهد النبويّ وما كان بعده من عهدة عمريّة لمسيحيّ القدس، ليخلص إلى القول:

من هنا أهميّة المبادرات الحواريّة الإسلاميّة المسيحيّة، سواء تلك التي أطلقها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز، أو مبادرة كلمة سواء التي أطلقها من عمّان ١٣٨ عالمًا مسلمًا لفتح صفحة جديدة من المحبّة مع المسيحيين. إن مثل هذه المبادرات الإيجابية تحتاج إلى ترجمة عمليّة على الأرض من خلال: أولاً استلهاً وصايا النبيّ الخاصّة بالمسيحيين والعمل بها، وثانياً احترام حقوق المواطنة وتوفير الأمن والسلام والاطمئنان

أعتقد أنّ المسيحيين الشرقيين الذين يهاجرون إلى بلاد الله الواسعة ولا يعودون، يعرفون أنّ مصيرهم هو الضياع، لأنهم حيث يسكنون لا يستطيعون أن يحافظوا على هويّتهم، وليس بإمكانهم أن يستمرّوا في تقديم شهادة حقّ لإيمانهم وتراثهم وتاريخهم المجيد.

○ | السيّدة باسكال وُردا، وزيرة المهجّرين والمهاجرين سابقاً ومسؤولة العلاقات العامّة لمنظمة حمورابي لحقوق الانسان، قدّمت عرضاً تاريخياً ووقائعيّاً إحصائياً، حول واقع الحال العراقيّ، ولاسيّما منه واقع الأقليّات من الأشوريّة الكلدانيّة السريانيّة إلى الأيزيديين إلى الصابئة المندائيين إلى الشبك، فإذا نحن أمام مشهدين: حضاريّ مشرق مشرفّ، وتهميشيّ إقصائيّ إلغائيّ مقلقٍ مخيف.

قالت الوزير وردا: والمؤسف هو أنّ الدفاع عن أبسط الحقوق الانسانيّة للمسيحيين العراقيين كتمسّكهم بأرضهم وممتلكاتهم لا يلقى الدعم الجديّ من أيّة جهة دوليّة أو إقليمية، لأنهم، ومن دون شكّ، لا يمثّلون نفعاً كمياً للتأثير على المعادلات السياسيّة. وعلى المستوى الوطنيّ، حتّى صراخُ الآلامهم يُخمد بطرق لا يتصوّرها الذهن عبر سياسات التعتيم الإعلاميّ وتفكيك الصفّ والتفريق مقابل أموال وإغراءات متنوّعة تدفع إلى تبيع القضايا واندثار طابعها الحقوقيّ، لا بل تجعل في بعض الأحيان الفائدة من المطالبة بالحقّ لإحقاقه.



«حضور إلى احتضار... أم إلى قيامة؟»

كنائس الشرق بجميع مكوناتها وأطيافها من مقيمين ومغتربين...
 ○ | وفي الختام، كانت كلمة للعميد ميشال قس دنو، جاء فيها: إن زوال الأقليات المسيحية من دول المنطقة يتلاقى مع مشاريع التطهير والفرز الجارية، لتحويل الشرق إلى شرق مظلم. ونحن أمام خيار من اثنين: إما قبول ما يجري والاكتفاء بالتحريكات والتمنيات، وإما العمل بجدية لمنع وقوع الكارثة. إنها مسؤولية الجميع. بل إنها الفرصة الأخيرة ولحظة الحقيقة. إنها لحظة الحقيقة للعالم، ولحظة الحقيقة للعراق والعراقيين، ولحظة الحقيقة للعرب والمسلمين!

إن المأساة حقيقية، وخطر زوال الوجود المسيحي التاريخي جدي وداهم. لذلك يؤمل أن تبدأ مساعي الإنقاذ من دون تأخير، فيتحمل كل طرف مسؤولياته. ويقدر ما هي المسؤولية مسؤولية الأطراف الكبرى، فإنها أصبحت الآن ملك الرأي العام، على أن نحمل جميعاً هذه الأمانة، ونعمل بمساعدة الإعلام لإبقائها حية.

أحياناً حيال الكنيسة: من جهة يرفض بعضهم أن تتدخل في الأمور غير الروحية البحتة، ومن جهة أخرى يلومها الكثيرون على جمودها وترددها في لعب دورها التاريخي في قيادة شعبها باعتبارها قوة روحية ومعنوية وسياسية واقتصادية واجتماعية، على ما هي الصورة المرتسمة في لاوعيهم الجماعي.

وهنا سأل: ماذا ينتظر مسيحيو العراق، ومعهم سائر مسيحيي الشرق، من كنيستهم اليوم؟! إنهم، بالطبع، بحاجة آنية إلى المساعدات... أما الأهم فهو الاطمئنان إلى وجودهم ومصيرهم في هذه البقعة من العالم. فهل تستطيع الكنيسة أن تنهض بهذا العبء وكيف؟ وعلى هذا يفترض أن ينصب تفكيرها وتركز جهودها.

وقد رأى د. عواد لذلك ركيزتين أساسيتين: ركيزة تعليمية ومبدئية، توضح فيها الكنيسة أنها ليست كنيسة صمت وخوف، بل كنيسة النبوة والحقيقة والصوت الصارخ...

وركيزة تنظيمية بنويّة، تكون الإدارة التي لا بد منها لكي تتمكن الكنيسة من تأدية رسالتها وشهادتها. ومن هنا الضرورة الملحة لإنشاء المؤسسات الحقيقية والفعالة على مستوى

تنتهك بعض حقوقهم، ويسفّه سوء الظنّ بهم. ولذلك، فإنّ للمسلمين مصلحة مباشرة وطنية ودينية في الدفاع عن حقوق المسيحيين في الشرق.

○ | الدكتور ميشال عواد توقّف أولاً عند ثلاث ثوابت في المسألة المسيحية في الشرق: تعددية الكنائس والجماعات المسيحية- تلازم الديني والزمني- كنائس تنتمي إلى محيطها العربي إنما منفتحة على العالم.

ثمّ انتقل للإشارة إلى أهمّ التحديات والمخاطر التي يواجهها المسيحيون حالياً في هذا الشرق، وهي: التمييز بين الناس أدياناً وطبقات وفئات (احترام كرامة الانسان والمساواة بين الجميع)- بقطة أصولية وتطرف ديني إيديولوجي (انحسار الوجود المسيحي وهجرة المسيحيين ونزوحهم)- الدعوات الوجودية (نيوذية)- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة والتخلف على معظم المستويات (الدخول في التنمية والعدالة الاجتماعية)- التأثيرات والتغيرات المستجدة (الولوج إلى الحداثة).

تابع الدكتور عواد: هذه الثوابت والتحديات كونت عند المسيحيين موقفاً مزدوجاً وناقضاً





المطران بشاره الراعي

شرعة العمل السياسي في ضوء تعليم الكنيسة وخصوصية لبنان

أهداف ومضمون

١. الأهداف

كان الهدف الأساسي، عندما انطلقت فكرة «الشرعة»، أن تقوم الكنيسة بمبادرة تعليمية تثقيفية، بسبب انحراف الممارسة السياسية عن غاية العمل السياسي وأخلاقيته وفتنه ودوره، وبسبب انحراف ملحوظ عن خصوصية لبنان وقيمه الحضارية ورسالته وسط الأسرة العربية والدولية. وللكنيسة تعليم واسع ومعق في هذين الحقلين، بدءاً من المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني وما تلاه من وثائق حبرية تعليمية بشأن علم الاجتماع والإنماء والثقافة والسياسة، وصولاً إلى الإرشاد الرسولي «رجاء جديد للبنان» والمجمع البطريركي الماروني، ولاسيما في النص التاسع عشر «الكنيسة المارونية والسياسة»، فضلاً عن الدستور اللبناني المعدل سنة ١٩٩٠ بعد صدور وثيقة الوفاق الوطني في مؤتمر الطائف.

فتهدف «الشرعة» إذن إلى تثقيف الأذهان والضمائر بشأن ثلاثة: فنّ العمل السياسي النبيل وأخلاقيته، العلاقة بين الدين والدولة، خصوصية لبنان والسبل لإنهائه، فإلى تجسيد هذه الثقافة في الممارسة، بروح المواطنة الواعية والمسؤولية. والمقصود هو أن يتثقف المواطن اللبناني على الفكر السياسي كفنّ شريف لخدمة الانسان والخير العام، وأن يتثقف أيضاً رجال السياسة ويتهيأوا لهذا

في المواضيع الثلاثة الأساسية، مع الإشارة إلى نقاط تحتاج إلى تشاور وتعمق.

أ. العمل السياسي كفنّ شريف وأخلاقيته

السياسة فنّ شريف لخدمة الانسان والخير العام. هي فنّ تقتضيه كل جماعة بشرية من أجل تنظيم شؤونها وتأمين صالحها العام. هذا الفنّ لا يمارسه على أصوله إلا الذين أهّوا نفوسهم له بثقافتهم وأخلاقيتهم، وتميّزوا بالحكمة والحكمة. وهي «فنّ شريف» لارتباط هذه الخدمة العامة بالشرع الطبيعي الذي طبعه الخالق في الطبيعة البشرية، وبالشخص البشري وكرامته وحقوقه الأساسية، ولأن أصحاب السلطة السياسية هم «خدّام الله للشعب وللخير» (روم ١٣/٤). ما يقتضي منهم العمل بروح الخدمة المقرونة بالمناقبة والكفاءة والشفافية، بعيداً عن التسلّط والفساد والالتباس. يتوسّع الفصل الثالث من القسم الأول في موضوع مشاركة المسيحي في الحياة السياسية، كحقّ وواجب، وفي ما يجب أن تتّصف به هذه المشاركة من ميزات والتزامات وقيم، وهي:

■ توطيد نظام اجتماعي يضمن خير كل شخص، بحيث يتأسّس على الحقيقة، ويحمى بالعدالة، وينتعش بالمحبة، وينمو بالحرية المسؤولة.

■ حماية المواطنين من انتهاكات حقوقهم الأساسية، وحماية الحياة البشرية والاعتناء بها من كلّ جوانبها، وحماية الشخص البشري من أيّ تعدّد عليه.

■ تنظيم الحياة العامة في مختلف قطاعاتها وشؤونها الداخلية والخارجية، وتعزيز محبة الوطن وحفظ تراثه ورموزه وتحقيق آمال أبنائه وانتظاراتهم.

فلا يمكن القبول بأيّ أداء سياسي يعمل فعلياً

الفنّ النبيل علمياً وخلقياً وإنسانياً. فالعمل السياسي، لما له من خطورة، لا يرتجل بل يحتاج إلى فهم وحكمة وحكمة، ورجال السياسة، لما عليهم من مسؤولية تتعلق بمصير وطن وشعب، لا ينبتون كالفطر عند الصبيحة، بل كالزيتون والأرز بروح السلام والرفعة والصلابة.

أما الهدف الأخير فهو تعزيز التعددية في الوحدة، والممارسة الديمقراطية الصحيحة، بحيث يتحرر المواطن والمسؤول من الإستزلام والتبعية، ويكون صاحب خيار وقرار ينبعان من قناعة العقل وحرية الإرادة.

٢. مضمون الشرعة

من حيث الشكل تتألف «الشرعة» من ثلاثة أقسام:

القسم الأول عنوانه المبادئ حول مفهوم السياسة وممارستها، وفيه ثلاثة فصول: يتناول الأول مفهوم السياسة كفنّ شريف لخدمة الانسان والخير العام، والثاني العلاقة بين الكنيسة والدولة، والثالث مشاركة المسيحي في الحياة المسيحية ومقتضياتها الأخلاقية.

القسم الثاني عنوانه خصوصية لبنان، يطرح في الفصل الأول خصوصية لبنان كوطن وكيان وقيمة حضارية وميثاق وطني للعيش المشترك مع صيغته، وفي الفصل الثاني يضع آلية لإنهاض لبنان والدولة المدنية الديمقراطية.

القسم الثالث عنوانه الشرعة، وهي تتألف من ٣١ مادة تحت ثلاثة عناوين:

أ. مبادئ عامة.
ب. لبنان الوطن والخصوصية.
ج. المعايير للانتخاب والمحاسبة والمساءلة.

فلا بدّ من قراءة مختصرة لمضمون الشرعة

العربية، من التزام بالأهداف والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ■ القيمة الحضارية التي تجعل من لبنان إنساناً ثقافياً للبشرية وتحفظ له دوره الحضاري على حوض البحر الأبيض المتوسط، وتتوفر من كونه مكاناً لتلاقي الأديان، وللحوار الثقافي بين الشرق والغرب، وللمبادرات المسكونية، ومن كون نظامه قائماً على الحريات العامة والديموقراطية التعددية التوافقية. تقتضي الحاجة تحديد مفهوم الديموقراطية التعددية التوافقية. ■ ميثاق العيش المشترك والصيغة، الأول منصوص عليه في مقدمة الدستور اللبناني (فقرة ي)، وفي المادة ٩ وهو غير قابل للتغيير؛ والثانية منصوص عليها في المادتين ٢٤ و٩٥، وهي قابلة للتطوير، ومعروفة اليوم «بالطائفية السياسية»، ومطلوب إلغاؤها (راجع القسم الثاني، الفصل الأول). من الضرورة التشاور والتعمق في مفهوم الطائفية السياسية والبديل عنها. أما السبل لإنهاض لبنان والدولة المدنية الديموقراطية، فترسم «الشريعة» بعضاً منها، لا حاجة إلى ترادها، بل أكتفي بالإشارة إلى السبل التي تحتاج إلى تشاور وتعمق وهي:

- ١) تحييد لبنان عن سياسة المحاور الإقليمية والدولية.
- ٢) مضمون اللامركزية الإدارية الموسعة.
- ٣) الحقوق المدنية للمنتشرين اللبنانيين.
- ٤) تحقيق التمييز الصريح بين الدين والدولة.

أراضيه وسيادته واستقلاله وشرفه ووحدته. يبقى من الضرورة التعمق في الحدود الفاصلة بين الحكم الأدبي والرأي السياسي من قبل رجل الدين. ثم تدعو «الشريعة» في موضع آخر إلى التمييز الصريح بين الدين والدولة (صفحة ٣٥، أ)، وهذا موضوع له إطاره في مواقع أخرى من «الشريعة»:

■ الميثاق الوطني القائم على إرادة العيش معاً بين المسيحيين والمسلمين، وعلى نظام سياسي متوسّط بين النظام التيقراطي الذي يجمع بين الدين والدولة، والنظام العلماني الذي يفصل تماماً بينهما، وفقاً للمادة ٩ من الدستور (راجع صفحة ٢٩).

■ صيغة «الدولة المدنية» المعتمدة في لبنان التي تعني في آن سيادة الدولة واستقلاليتها في حقل النظام الزمني، وحقها دون سواها في الإدارة اليومية للشأن السياسي والقضائي والإداري والمالي والعسكري، وفي تحديد التقنية السياسية والاقتصادية من جهة؛ والتزام الدولة باحترام الأديان عقيدة وممارسة، وصون حرية المعتقد والعبادة في البلد المتعدد دينياً من جهة ثانية (صفحة ١٣).

■ رفض «علمنة الدولة»، إذا كانت تعني عقيدة فلسفية تحتوي على مفهوم مادي وملحد للحياة البشرية والأمة؛ وإذا كانت الدولة تعتبر هذا المفهوم نظاماً سياسياً أوحد للحكم وتفضيه على المواطنين في حياتهم الخاصة، وعلى المدرسة والجامعة؛ وإذا كانت العلمنة تعني إرادة الدولة في عدم الخضوع لأي سلطة معنوية أعلى، وفي الاعتراف فقط بمصلحتها كقاعدة لعملها (صفحة ١٤).

ج. خصوصية لبنان والسبل لإنهاضه تتوسع «الشريعة» في إبراز خصوصية لبنان: ■ الوطن والكيان كما جاء في مقدمة الدستور اللبناني، وما توجب «نهائيته» على كل اللبنانيين من واجب الولاء له والدفاع عن سيادته واستقلاله، وما تستدعي «عضويته» في منظمة الأمم المتحدة وجامعة الدول

وحصرياً لمصالح شخصية وفئوية على حساب الصالح العام، أو يرهن حقوق المواطنين وكرامتهم بلونهم السياسي أو بانتمائهم الديني أو بنوعيتهم رأبهم (راجع القسم الأول، الفصل الأول). ما العمل ليكون العمل السياسي فناً شريعياً في الممارسة اليومية؟

ب. العلاقة بين الكنيسة والدولة

تتناول الشريعة موضوع العلاقة بين الكنيسة والدولة في الفصل الثاني من القسم الأول، ثم تتكلم في موضع آخر عن العلاقة بين الدين والدولة. ثمة تمايز بين الكنيسة والدولة. بينما تعملان معاً من أجل خير الإنسان والخير العام، فإنهما تتمايزان الواحدة عن الأخرى بطبيعتهما ومساحات خدمتهما ووسائلهما والأهداف. وتعم كل من الكنيسة والدولة بالاستقلالية من ناحية هيكلية السلطة والقوانين وقطاعات الاختصاص؛ ما يقتضي احتراماً متبادلاً شاملاً، واعترافاً بالحقوق والواجبات العائدة لكل منهما. إن التمايز والاستقلالية يفرضان على الكنيسة والدولة قيام تعاون وثيق بينهما، من أجل إنماء شامل ومتكامل للشخص البشري والمجتمع. يجدر التشاور لتحديد مجالات هذا التعاون ونوعيته. وهناك علاقة جوهرية بين السلطة الكنسية والسلطة السياسية على مستوى الشريعة الأخلاقية التي تسود العمل السياسي. فمن حق السلطة الكنسية وواجبها، وهي المؤتمنة بسلطان إلهي على الشريعة الإلهية والأدبية أن تحكم في صلاح الأفعال البشرية وشرفها، بما فيها الأفعال المتعلقة بالشأن السياسي، لا من حيث تقنياتها، بل من حيث ارتباطها بحقوق الشخص البشري الأساسية وخالص النفوس، وبالعدالة الاجتماعية وسلامة الأخلاق والاستقرار والمساواة في الحقوق والواجبات بين سائر المواطنين، وبخير الوطن وسلامة

المياه ثروة مهمّة، ولنا بالأنص



د. لويس حبيقة

تطوير عام أيضاً كمّي ونوعي لإدارة هذه الثروة. وضع منطقة الشرق الأوسط يبقى في غاية الحساسية، إذ تشير الدراسات إلى توافر 667 متر مكعب لكل إنسان في حوالي سنة 2025، أي ثلثي الحد الأدنى المطلوب، وذلك مقارنة بتوافر 4780 متر مكعب كمتعدل عالمي. هذا يعني أن مصادر الخلافات المستقبلية داخل الشرق الأوسط ستكون ربّما مائية أكثر منها نفطية أو حتى سياسية.

أي حلول مستقبلية للمشكلة المائية في الشرق الأوسط ودولياً، يجب أن تنظر إلى جانبي الطلب والعرض ثم إلى السعر تجنّباً لحصول اختناق مائي في سنة 2025 وربّما قبل هذا التاريخ. ما زال دور القطاع الخاص في الإنتاج المائي في منطقتنا خجولاً مقارنة بدوره في الاتصالات والكهرباء وبقية الخدمات ذات الطابع العام. تحتاج المياه إلى تدخل أكبر من القطاع الخاص للتمويل والإنتاج ورفع الإنتاجية وتحسين التوزيع داخل الدول وفيما بينها. هنالك حاجة للخصخصة في قطاع المياه حيث تنتقل إليه خبرات القطاع الخاص في الإدارة والتقنيات والاستثمارات ممّا يفيد الدولة والمستهلك. يمكن أن يشكّل قطاع المياه مورداً مهماً للخزينة بحيث يمول نفسه في الصيانة والتحديث، تماماً كما يحصل في الدول الصناعية وكما يحصل في قطاع الاتصالات في كل الدول. من الضروري تحسين صورة قطاع المياه من الناحيتين الإدارية والمالية بحيث يعتبر أكثر فاعلياً جاذباً للاستثمارات المربحة، فلا حاجة للاستمرار في

العراق) من أصل 14، تحتوي على الحد الأدنى المطلوب. مشاكل المياه لا تقتصر على الكمّيات المتوافرة، وإنما أيضاً على التلوّث وسوء التوزيع بين الدول وداخلها، أي بين الريف والمدن.

في سنة 2025، من المتوقع أن يصبح عدد سكّان العالم حوالي 8 مليارات نسمة، أكثر من 80٪ منهم يسكن في دول الجنوب، أي في الدول النامية. تسكن الأكثرية الساحقة من السكّان في المدن، أي حوالي 84٪ في الدول الصناعية، و56٪ في الدول النامية (بينها 76٪ في العراق، 91٪ في إسرائيل، 73٪ في الأردن، 89٪ في لبنان و54٪ في سوريا). من الضروري القول إن الهدر المائي يخفّ مع الوقت بسبب وعي السكّان أكثر فأكثر لأهمية الثروة المائية. يخفّ الهدر أيضاً بفضل حملات الوعي والتثقيف التي تقوم بها الحكومات والمؤسسات الدولية. لا شك أن رفع التعريفات وتطبيق التصاعدية عليها في المناطق المستهلكة بكثرة ساهما في ترشيد الاستعمال لمصلحة المجتمع.

تشير الدراسات إلى استخراج متزايد للمياه من الأرض أو من البحور عبر تحليتها. بين سنتي 1995 و 2025، من المتوقع أن يزداد الاستخراج بنسبة 54٪ في أفريقيا، 15٪ في أميركا الشمالية، 56٪ في أميركا الجنوبية، 46٪ في آسيا، 33٪ في أوقيانيا و 23٪ في أوروبا. تتنبّأ الدول الصناعية أكثر من النامية لكيفية استهلاك ثروتها المائية، ولا بدّ من

يجمع الخبراء على أهمية الثروة المائية، ليس للشرب فقط، وإنما للريّ والإنتاج الكهربائي والنوعية البيئية، وبالتالي تعتبر ثروة اقتصادية أساسية. فإذا كان ثمة من بدائل للنفط، فليس من بديل على الإطلاق عن المياه. تؤثر الثروة المائية مباشرة على الناتج المحلي كما على الصحة ونوعية الحياة والتوزع السكاني بين الدول وداخل كل دولة. لا شك أن العرض المعروف والممكن والمتوافر لا يغطّي الحاجات الدولية المتزايدة للسلة، وبالتالي ستصبح مع الوقت نادرة أكثر فأكثر. من نتائج الأزمة الزراعية الغذائية التي حصلت السنة الماضية تركيز أكبر على الانتاج الزراعي، وبالتالي استهلاك أكثر للمياه. من نتائج سوء التوازن بين العرض والطلب حدوث توترات عنيفة أو صامتة ومشاكل بين القوى المختلفة على الأرض، خاصة في الشرق الأوسط. هنالك حدّ أدنى متعارف عليه دولياً وهو توافر معدّل ألف متر مكعب من المياه لكل إنسان في السنة للاستهلاك والانتاج، وهو ما لن يكون مؤمناً بسهولة في العقود القليلة القادمة. في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، هنالك 9 دول فقط (أهمها



يقارب ٥٠ مليار دولار يشلّ عملياً دور الدولة الماليّ، وبالتالي تزداد الضرورة فيما يخصّ دعوة القطاع الخاصّ المحليّ والدوليّ إلى الاستثمار والصيانة والتوزيع والإدارة. هنالك شركات مياه غربيّة ودوليّة تحوّلت من شركات مياه عاديّة إلى عمالقة في الاستثمارات المتنوّعة، وهنالك مثلاً فرنسيّان كبيران ومعروفان. كي يأتي القطاع الخاصّ إلى المياه، يجب زيادة الشفافيّة من ناحية توافر المعلومات الكاملة والصحيحة بشأن الثروة المائيّة وخصائصها الجغرافيّة واستهلاكها المناطقيّ، إذ ليست هنالك فائدة من إبقاء بعض الضبابيّة بهذا الشأن. لا شكّ أنّ قطاع المياه كغيره من المؤسّسات العامّة بحاجة إلى خبرات إضافيّة جيّدة تكمل ما هو موجود في لبنان للمصلحة العامّة. من الضروريّ أيضًا النظر في التشريعات الموجودة ومقارنتها بما يطبّق في الدول المتقدّمة وتعديل وتحديث ما يجب فعله. هنالك عقلية قديمة ما زالت تؤثر على مسار الدولة، وهي ترفض التخصص أو تشعر بالحذر الكبير تجاهها.

تكلفة لمياه البحور. لا تستعمل هذه التقنيّات كما يجب في منطقة الشرق الأوسط في الانتاج والتوزيع، وبالتالي هنالك فرص كبرى لزيادة العرض في المنطقة العربيّة. تساعد التقنيّات الجديدة في تدوير المياه عبر تنظيفها وتطهيرها من الأوساخ أيّاً كانت مصادرها، تماماً كما يحصل مع الورق والموادّ الصناعيّة والمعدنيّة والبلاستيكيّة وغيرها. لا تستعمل هذه المياه المنظّفة للشرب، وإنّما للاستهلاك المنزليّ والريّ ممّا يبقي المياه العذبة الصافية للحاجة الرئيسيّة وهي الشرب.

يعي اللبنانيون حكماً أهميّة المياه للحياة والإنتاج، لكنّ الحلول ما زالت خجولة مقارنة بالطاقات البشريّة والتقنيّات المتوافرة. ما زالت المياه تنقطع في كلّ المناطق، والهدر كبير، والدولة كما المواطن يشعرون به. من الضروريّ أن يحسّن اللبناني استهلاك هذه السلعة التي تجذب العين الإسرائيليّة إلينا لحاجتها لها. فالمياه ستكون من أسباب النزاع المستقبليّ مع إسرائيل، وهنالك مؤشّرات عدّة لذلك. لا تقوم الدولة بما يكفي من ناحية توعية المواطن إلى ترشيد الاستهلاك حتّى في هذه الظروف الصعبة. من ناحية العرض، وبالرغم من بناء السدود والبحيرات، فإنّ إدارة هذا المرفق تحتاج إلى خبرات القطاع الخاصّ بإشراف الدولة كي يشعر المواطن بالطمأنينة. يحتاج قطاع المياه إلى أموال القطاع الخاصّ للاستثمار والصيانة والتخزين، لأنّ وضع الموازنة اللبنانيّة معروف ويتعثر أكثر فأكثر من سنة إلى أخرى. ارتفاع الدين العامّ إلى ما

الدعم من الخزينة. يحتاج القطاع الخاصّ إلى الربحيّة كي يستطيع الاستمرار في إدارة المياه وتطويرها من دون الاضطرار إلى رفع التعريفات إلى حدود الابتزاز أو الاحتكار أو الظلم. نجاح القطاع الخاصّ في تأدية المهمّة يرتكز على حسن التعاون مع الجهات الحكوميّة المختصّة بحيث تتأمّن السلعة للمواطن بأقلّ تكلفة ممكنة.

أولاً: شكّلت المياه سبباً أساسياً لنهوض حضارات كثيرة وغيا ب أخرى. فهي مؤثّرة على نوعيّة الحياة وبالتالي على إنتاجيّة العمل. سبقوى هذا التأثير مع الوقت لأنّ المجتمعات الحديثة الاستهلاكيّة تحتاج أكثر فأكثر لهذه السلعة الحيويّة. في الطلب حيث يجب ترشيد الانفاق أكثر ووقف الهدر وتفعيل الاستهلاك، هنالك مجالات كبرى للتقدّم. من الوسائل المؤديّة إلى ذلك، بالإضافة إلى الوعي والثقيف، يجب صيانة وتحديث البنية التحتيّة الناقلة للمياه، وهذا ما تعجز عنه بعض الدول ذات الموازنات الضيّقة. هنالك تقنيّات جديدة فيما يخصّ الريّ بالتوازن مع المبيدات والمنشّطات لتفصيل الإنتاج الزراعيّ لكلّ متر مرّبع من الأرض. لا بدّ من الاستفادة من التقدّم الحاصل في العلوم الزراعيّة بحيث ترتفع الإنتاجيّة وتحسّن نوعيّة الإنتاج.

ثانياً: في العرض حيث يمكن زيادته عبر التقنيّات الحديثة التي تساعد في استخراج المياه من أعماق الأرض كما عبر تحلية أقلّ



د. عصام الحوراني | ○

الفكاهة، بين الشعر الشعبي والحكاية

الأدب الشعبي بين الطرفة والدُّعابة، والغمزة السياسيَّة، والمُلحة الأدبيَّة، وبين الفكاهة والأحوال الاجتماعيَّة، والناس على اختلاف مشاربهم، وأذواقهم، وأوضاعهم، ومآربهم، وثقافتهم وغيرها... هذه الفكاهة فيها حلاوة ونكهة طيِّبة خاصَّة؛ والأشعار التي تخصُّ الأدب الشعبيَّ والمُطَيِّبة بالنكتة أو بالفكاهة، ربَّما يُعرف قائلها أو لا يُعرف. هذه (الردَّات) تصوِّر الناس جميعهم، في كلِّ زمان ومكان، وتحكي قصصهم ممزوجة بالبسمة والضحكة...

إنَّ السؤال الذي يطرح نفسه أوَّلاً: ما هو تعريف ظاهرة هذه الفكاهة التي من مظاهرها: النكتة، والدُّعابة، والمُلحة، والطرفة... فما هي الفكاهة بشكل عامٍّ؟

ترتبط الفكاهة لغويًّا بالفكاهة، الطيِّبة المذاق وصاحبة النكهة الحلوة، كما جاء في (لسان العرب المحيط) لابن منظور. وعلى سبيل المشابهة يمكن أن نقول فكَّهم بمُح الكلام، أي أطرفهم، وصاحب الفكاهة يُسمَّى الفكِّه، وبخاصَّة إذا كان طيِّب النفس مرَّاحًا.^(١)

هكذا تبعث الفكاهة المتعة في النفس، كما تبعث المرح، والضحك، والبهجة، والسرور، والتسلية... «وتكون الفكاهة خاصيَّة ممبزة لعمل إبداعيٍّ أو تعبير لفظيٍّ أو بصريٍّ (شكليٍّ)، نجده قادرًا لأسباب عديدة تتعلَّق بتفسير المضحك من الأمور، على إحداث البهجة والمرح والضحك لدينا»^(٢). والفكاهة هي نتيجة ثلاثة عوامل رئيسية:

١. الشخص: وهو المميِّز الذي يبدع الفكاهة، وأيضًا الشخص الذي يتلقاها.
٢. العمليَّة: هي العمليَّة التي تبدع الفكاهة، والتي تعتمد على فعل العقل والانفعالات.
٣. الناتج: أي العمل الفكاهيٍّ من مثال: النكتة، الكاريكاتير، الحركة الجسمانيَّة...^(٣)

والشخص الذي لديه حسُّ الفكاهة، يكون صاحب شخصيَّة سويَّة انبساطيَّة، يقيم علائق اجتماعيَّة كثيرة، وهو يستمتع بأصحابه الكثيرين إلى حدٍّ بعيد، ويحبُّ الحياة، ويجهد لأن يبقى خالي البال، وإذا صادفته في الحياة منغصات ومشكلات فهو يحاول السيطرة عليها. وقد قال (كارليل): «إنَّ جوهر الفكاهة هو الحساسيَّة والدفء والرقة والصحة الجميلة... إنَّ جوهر الفكاهة هو الحب...»

لقد مزجت الفكاهة عناصر إنسانيَّة متنوِّعة، بلونها المشرق فأكسبتها ضياء، وتقبَّلها أناسها المتعدِّدو الأذواق والميول بانسراح ومحبَّة وشوق وأمل. وقد لازمت الكثيرين من البشر في مختلف العصور والمجتمعات والطبقات. وعند العرب احتلَّت الفكاهة مكانة مرموقة في تراثهم منذ الجاهليَّة ومرورًا بالإسلام والعصور المتعاقبة. ويروى عن الرسول محمَّد حديث قال فيه: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه حسن، فتبسُّمك في وجه أخيك صدقة». وقد

محاضرة في جامعة سيِّدة اللويزة،
كليَّة الانسانيَّات- قسم العلوم الاجتماعيَّة
والسلوكيَّة، في ٢٥/١١/٢٠٠٨.

١. ابن منظور، لسان العرب المحيط.
٢. عبد الحميد، شاكر، الفكاهة والضحك، عالم المعرفة، الكويت ٢٠٠٣، ص ١٤.
٣. يراجع المصدر نفسه، ص: ١٥-١٦.

قال ابن الجوزي: «وما زال العلماء والأفاضل يُعجبهم المُلحُ ويهشون لها، لأنها تحجّم النفسَ وتريح القلبَ من كد الفكر.»^(٤)

لقد انتبه العلماء لفوائد الفكاهة والمُزاح والنكتة وما شابه، ومدى أهميتها في عملية تنشيط الحواس والعقل والجسد، وقد نسب إلى كونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٩ ق.م) قوله: «إن ضحكة واحدة تساوي ألف تكميرة...» ولكن يجب أن يبقى المُزاح ضمن حدود معينة، ومع مراعاة أحوال المتلقي وظروفه الاجتماعية والنفسية، وذلك لكي لا يتحوّل إلى عداوات كما قال الشيخ عبد الله النيسابوري: إن المُزاح بدوّه حلاوة لكنّما آخره عداوة.

وتاريخ الأدب يضحّ بالفكاهة، ونحن نذكر على سبيل المثال: (البخلاء) للجاحظ، و(المقابسات) لأبي حيّان التوحيدي، وله أيضاً: (الإمتاع والمؤانسة)، و(الهوامل والشوامل)، و(البصائر والذخائر)، وكلّها تتناول في نواح عديدة النكات والطرائف والدعابات.. والشعر العربي يحوي في بعض منه نتفاً من الفكاهة، التي تبعث في القلب البهجة والسرور، وتطهر العقل، وقد قال أبو فراس الحمداني:

أرّوح القلبَ ببعض الهزلِ تجاهلاً مئّبي، بغير جهلِ
أمرحُ فيه مزح أهل الفضلِ والمزح، أحياناً، جلاءً للعقلِ

ولقد طبّبت الفكاهة الأدب على أنواعه، وقربته من الناس، ولاسيما في أدب الرواية؛ فهي مع تمسرحها، تكوّن الفكاهة المادّة الطرية التي تشدّ المشاهد إلى المسرحية، وثمة المسرح الخاصّ الذي يعتمد الهزل والدعابة في كلّ فصول المسرحية. وقد تحدّث الفيلسوف الروسي ميخائيل باختين (١٨٩٥ - ١٩٧٥) عن الانفصال بين الثقافة الشعبية، وعمادها الضحك والبهجة والمرح، والثقافة الرسمية والدينية التي ميّزتها الجدّ والرصانة، وبين الهزل والجدّ، والتدين والتهكّم، ويقول باختين بأن سبب هذا التمايز في الثقافة يرقى إلى التمايز بين الطبقات في المجتمعات.

ومع تلاشي الفروقات الطبقيّة بفعل التطوّر الحضاريّ والإنسانيّ، وظهور الديمقراطيات في العالم المتحضّر الناهض، والأنظمة السياسيّة الشعبيّة، أخذ الأدب الضاحك يحتلّ مكانة مرموقة لدى كلّ الناس على مختلف مستوياتهم الثقافيّة والعلميّة. والشعر الشعبيّ الذي تتداوله الألسنة عبر الأزمنة المتعاقبة، يحفل بالفكاهة والطرفة، ويتقبّله الكبير والصغير في المجتمعات المختلفة، وقد رافقت النكتة الأدبيّة والفكاهة الحكّام في مختلف العصور، وكذلك رجال القانون، ورجال الدين، وأهل العلم والثقافة، والشعراء، والأدباء، والصحافيين... «وكانت الجرائد والمجلاّت حتّى أكثرها رصانة، تخصّص للنوادر والفكاهات باباً يدخل الارتياح إلى نفس القارئ، ويشوّقه إلى اقتناء الجريدة. وكانت النكتة إلى جنب ذلك سلاحاً في المناظرات السياسيّة والأدبيّة واللغويّة التي تدور على صفحات الجرائد والمجلاّت.»^(٥)

ونذكر من المجلاّت القديمة التي تخصّصت بالفكاهة والنكتة: (الجمعة) التي كانت تصدر في درعون للشيخ نوفل الخازن، و(الجوائب) لأحمد فارس الشدياق، والتي تأسّست في استانبول سنة ١٨٦٠، و(مجلة سركييس) ١٩٠٥، لصاحبها سليم سركييس، و(الدّبور) ١٩٢٣، وغيرها .

يرى الدكتور أنيس فريجة أنّ الفكاهة هي الأقرب إلى الطبائع البشريّة وإلى الذات الحرّة المنعتقة، وذلك لأنّها تعبّر أصدق تعبير وأدقّه عن السجّية، والفطرة، والغريزة، والرغبات،

٤. ابن الجوزي، أبو الفرج، أخبار الحمقى والمغفلين، دار الآفاق الجديدة، ص ١٨.

٥. لحدود، عبد الله، أحاديث النكتة في لبنان، ص ٢٤٤.

والمشاعر، والميول، وذلك بلغة بسيطة سهلة، وبحريّة منطلقة، بعيداً عن التصنّع والتكلف. كما رأى هذا الباحث الكبير في مقدّمة كتابه: (الفكاهة عند العرب) أنّ للفكاهة دوراً شمولياً يعبر عن (الخلق القومي) أي أنّها المحصّلة العقلية والخلقية وحتّى الروحية لشعب ما... وقال «ليس ما يعبر عن النفس الإنسانية إلاّ انطلاقها على سجيّتها وغريزتها، ولا تظهر حقيقتها إلاّ حين تعبر عن أعمق مكنونات هذه النفس، وعن سيرّ وجودها، ويظهر ذلك بالنكتة البديئة... وإنّ أجمل الفكاهات وأحسن النكات، بالنسبة إلى تعريفها هي التي نستنكف عن نشرها، ولكننا في مجالسنا الخاصّة نتندّر بها ونفكّه بها غيرنا... وكلّما امتازت الفكاهة بالإسراف والمغالاة، كلّما كانت أكثر شعبية وانتشاراً، وكلّما طاوت الحاكم أو المحتلّ أو ربّ العمل أو الغنيّ كلّما كانت أكثر لذعاً وتشويقاً... وهي تنتقل بين الأجيال دون رقيب أو حسيب، وكلّ جماعة تنسبها إليها...» وأردف فريحة: «الفكاهة لصيقة الحياة وهي ناحية إنسانية مشرقة لولاها لكانت الحياة في أكثرها عبوساً وتجهّماً. وهي عنوان الرقيّ عند الأمم، فكّلما صفت أذهانهم وكرمت أخلاقهم سمت الفكاهة إلى مستوى رفيع. وقد يكون ما يضحكننا في الفكاهة على جانب من السطحيّة والبديهيّة، وقد يكون ما يبهجننا فيها غاية في العمق والرصانة، ولكنّ تذوّق السطحيّ وتقدير العميق دليلان على رقيّ الشعب ودماثة خلقه».^(٦)

بين النكتة والزجل تلاق وعناق ووفاق، وهذا ما نراه واضحاً في زجليّات عدد كبير من الشعراء قديماً وحديثاً. نذكر من الأقدمين الذين كان للفكاهة المحلّ الرحب في شعرهم الشعبيّ: الشيخ ناصيف اليازجي، والشيخ ابراهيم الحوراني، ورشيد نخله، والياس الفرّان، وعبد الله غانم، وعمر الزعتي، وغيرهم... وسوف نتجوّل وإياك، أيّها القارئ العزيز، في رحاب الفكاهة الشعرية الشعبية وحكاياتها التي تتصل بالمجتمع، والتاريخ، والحكّام، والأدباء... وذلك في مرحلة معيّنة تتصل بالقرن العشرين، وبخاصّة في زمن الانتداب، وفي عهد الاستقلال، هذا الزمن الذي شهد ولادة لبنان الجديد، الذي نسعى معاً من أجل بقائه وديمومته...

كلّ واحدٍ يقيس لبنان على قياسه...!

روى أنيس فريحة من محفوظاته، ما كان يُردّد من المبالغات والاعتداد بالذات قبيل تكبير لبنان، وكما قيل بأنّ الشاعر الشعبيّ (شديد المزرعة) قال يوماً في بداية القرن العشرين:

لبنان حُدودو بتديين ودير القمر وبعقلين
والمختاره وعين تراز والباقي مش محسوبين

فتصدّى لـ (شديد المزرعة) هذا الياس سعد من رأس المتن، الذي قال:

لبنانك عرضو ذراعين والشوف عماتو شوفين
عاجق حالك بتديين وناسي بعبدا والمثنيين^(٧)

الشيخ إبراهيم الحوراني وأستاذ (كفتون)!

الشيخ ابراهيم الحوراني من أعلام النهضة في لبنان، دعته مدرسة كفتون في الكورة، في أوائل القرن الماضي لإلقاء محاضرة... وقد تكلم على أهميّة اللغة الفصحى ووجوب المحافظة على سلامة لفظ الأحرف العربية، وبخاصّة: القاف، والذال، والثاء... وبعد أن أنهى الشيخ الحوراني خطابه، قام معلّم الأدب العربيّ في المدرسة واسمه (طئوس) لإلقاء كلمة شكر تكريماً للشيخ العالم إبراهيم الحوراني، وقد حاول طئوس هذا أن يرتجل أبياتاً في هذا المقام.. فقال:

كفتون دارّ بالهنا تعترّ مز(مذ) شرّفها.....

٦. فريحة، أنيس، الفكاهة عند العرب. ويّراج: جوزف باسيل، أنيس فريحة: الشعب يخلق ثقافته، المؤتمر الأوّل للثقافة الشعبية في لبنان، دار الحدّاء، بيروت ١٩٩٣، ص ٢٢٢.

٧. الراسي، سلام، القيل والقال، دار نوفل، بيروت ١٩٩٤، ص ١٦٤.

وأخذ المعلم يردد (مُز) وقد عصته قريحته عن إكمال الشطر الثاني... وهو يردد مُز... مُز... إلى أن ضاق الشيخ الحوراني ذرعاً بما يردد من أخطاء لفظية كان قد نهى عنها لتوّه، فأتمّها له الشيخ بقوله: شرفها شاعرها طنّوس طرّ...^(٨)

في زمن الانتداب الفرنسي (١٩٢٠ - ١٩٤٣): الخوري محمّد والقسيس...

سنة ١٩٢٠ نودي بفيصل بن الحسين ملكاً على بلاد الشام، وقد بايعه الناس في منطقة مرجعيون وجبل عامل، ومن المسيحيين بايعه الروم الأرثوذكس، بينما لم يؤيده الموارنة. وأطلق المسيحيون الموالون لفرنسا على الخوري خليل هزار اسم الخوري محمّد، وعلى القسّ خليل الراسي اسم القسيس علي. وكان كامل الأسعد يؤيد حكومة فيصل بحسب قرار المؤتمر الذي عُقد برئاسته في منطقة الحُجّير في جبل عامل سنة ١٩٢٠. وبحسب هذه السياسات المتنقلة جرت الردّة الآتية:

الخوري محمّد والقسيس ساعه هيك وساعه هيك
ساعه بيغضب فرنسا وساعه بيغضب كامل بيك^(٩)

فيصل أمير بلادنا...!

وقد راح الناس المؤيّدون لفيصل يرددون:

فيصل أمير بلادنا وباريس تلزم حدها

وسقط فيصل، وهرب بعد انكساره أمام الفرنسيين في معركة ميسلون، وإذ بهؤلاء الناس أنفسهم يرددون:

يامير وشن لك بالحروب وفرنسا مانك أدها
هيدي دول بدها دول راعي غنم ما يصدها

في سنة ١٩٢٠ ومع دخول الجنرال غورو المنطقة على رأس قوّة بلغت ثلاثين ألف جندي، ذكر الشيخ بشارة الخوري في كتابه (حقائق لبنانية/ ج ١ - ص ٩١) أنه إثر القدّاس الذي أقيم في كاتدرائية مار جرجس في بيروت، خرج المصلّون في تظاهرة، وهم يهتفون:

فرنسا إمّ الدنيا غموم اعترّوا يا لبنانية
يامّ التتورة الحمراء...!

ومع سقوط فيصل وتحكّم فرنسا بالبلاد، قامت تظاهرة من بلدة مارونية في مرجعيون تجاه بلدة أرثوذكسية، وكان الناس في هذه التظاهرة يهتفون:

يامّ التتورة الحمراء مكش مكش مبروم^(١٠)
صار الحكم فرنساوي طقة ووياروم

عشنا بفرنسا يومين! يروي سلام الراسي أنّ واحداً من بلدته إبل السقي واسمه شاهين فاعور، سافر إلى المكسيك في العشرينيات من القرن المنصرم على متن إحدى البواخر التي توقفت في مرسيليا لساعات، وسُوح للمسافرين بمغادرة الباخرة للتفرّج على هذه المدينة... وبينما شاهين يتنقل في شوارع هذه المدينة إذ به يشاهد رجلين يختصمان ويتعاركان، والناس يمرّون قربهما من دون أن يعيروهما أيّ اهتمام، فدبت بشاهين النخوة اللبنانية، فتدخّل وراح يبعدهما عن بعض، ويسبّهما - بالعربية طبعاً - إلى أن أتى البوليس ونقل الاثنين الفرنسيين مع شاهين إلى أحد المخافر... وبعد وقت أطلق صراح الرجلين الفرنسيين، وبقي شاهين في

٨. الراسي، سلام، الحبل على الجرار، دار نوفل، بيروت ١٩٨٠، ص ١٨٢.

٩. الراسي، سلام، ثمانون، دار نوفل، بيروت ١٩٩٣، ص ١٣٢.

١٠. أبوسمرا، ألفرد، من دفتر الذكريات الجنوبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.

المخفر، لكي يجدوا مترجمًا يترجم إفادة هذا الرجل الذي تدخل في ما لا يعنيه. وأطلق سراحه في اليوم الثاني بعد أن أقلعت السفينة، وصار عليه أن يعود أدراجه إلى بيروت.

جاع فدخل مطعمًا وأكل بفرنك واحد... وسار في الشارع، وإذ به يضطر إلى أن (يقضي حاجته)... وفي إحدى زوايا أحد المنعطفات قضى حاجته بسرعة، وإذ بالبوليس يدهمه ويقبض عليه ويغرمه بفرنكين... وغادر مرسيليا مع هذه الردة:

عِشْنَا بِفِرْنَسَا يَوْمَيْنِ وَعَرَفْنَاهَا عَالِحَالَيْنِ
بِتَغْدَى فِيهَا بِفِرْنَكْ وَيَتَقَضِيهَا بِفِرْنَكَيْنِ^(١١)

وشاعت هذه الردة في إبل السقي بلدة سلام الراسي، وكان سلام يومها في حوالى الرابعة عشرة من عمره، وكانت أمه قد أرسلته إلى مدرسة في جديدة مرجعيون. وفي أحد الأيام زار المدرسة المستشار الفرنسي (الكابيتان ماي)، وراح يسأل التلاميذ أسئلة متنوعة. وجاء دور سلام وسأله عما يعرفه عن فرنسا... فأخبره هذه الحكاية... وراح الجميع يضحكون... لكن المستشار غضب وراح يصيح ويقول: شيء مؤسف جداً... تلميذ في مدرسة ثانوية تستغلّ الراية الفرنسية، ولا يعرف عن فرنسا غير هذه الحكاية المخجلة... وكان أن طرد سلام من المدرسة وعاد إلى أمه في إبل السقي خائبًا...

فتش عن بنت الكبا

ذاع صيت (بنت الكبا) في عهد الانتداب الفرنسي... فمن هي بنت الكبا هذه؟ كما نعرف أنها تطلق على ورقة من أوراق اللعب أو (الشدة) التي تحمل صورة سيّدة مميرة، ولها أهميتها بين الأوراق الأخرى...

كان يحكم لبنان في زمن الانتداب المفوض السامي الفرنسي... فهو الذي يعين رئيس جمهورية، ورئيس وزراء... وهكذا تتم التشكيلة... وكان يتنافس على المنصب العتيد الأول عدد من رجال السياسة الكبار في ذلك الزمان. وعندما تولّى إميل إدّه الرئاسة بين ١٩٣٦ و ١٩٤١ كان عليه، لكي يتبوأ هذا المنصب الخطير، أن يرضى المفوض السامي، وصديقه الحسناء التي كانوا يلقبونها ببنت الكبا، وكذلك كان عليه أن يرضى أيضًا مدير الأمن العام الفرنسي (القومندان كولمباني)... ولكنّ الفضل الأول والأهم يعود طبعًا لبنت الكبا التي كانت تأتي بالروساء وتذهب بهم كما تشاء- هكذا كانوا يقولون ويروجون- وفي خضم المعركة الرئاسية سنة ١٩٣٦ بين إميل إدّه وبشارة الخوري، راجت الردة الآتية:

خَالِدِهِ وَرَشْمِيًّا وَالذَّيْرَ رَجَالِ الشَّدَّةِ فِيهِمْ خَيْرُ
وَالكِتَابَةِ الدَّسْتَوْرِيَّةِ وَفِرْعَوْنَ وَشَيْحَا وَشَقِيرَ

(خلده ترمز إلى الأمير مجيد إرسلان، ورشميًّا: بلدة الشيخ بشارة، والدير: بلدة كميل شمعون، فرعون وشيحا وشقير: أقرباء الشيخ بشارة، والكتلة الدستورية هي حزب الشيخ بشارة الخوري.)

١١. ثمانون، ص ٢٠٦.

١٢. الحبل على الجرار، ص ٢١٤.

وإذ بردة أخرى تعارض الأولى وتقول:

لَا تَحْكِي وَلَا تَتَنَبَّأَ بِدَيْكُ تَعْرِفِ الْمَخْبِيَّ؟
أَتَرَكُ كُلَّ وُرَاقِ اللَّعْبِ وَفَتَّشَ عَنِ بِنْتِ الْكَبَا!^(١٢)

وشاعت على لسان معارضي الكتلة الدستورية هذه الردّة مع بعض التحريف:
 دوري يا بقرّة دوري (شّتي) ع بشاره الخوري
 و(شّتي) ع كميل شمعون على الحزب الدستوري

بَدِّكِ تَوَاخِدْنَا يَا مَسِيو بُونَسُو...!

وفي عهد دولة لبنان الكبير، لم تتغيّر الأحوال بالنسبة إلى الناس العاديين... والذين كانوا، وما زالوا، يصفقون للرائح وللقادم... فالناس على دين ملوكهم... قالوا لهم علينا أن نجعل عيداً لهذا اللبنا الكبير، وكان ذلك في عهد المفوض السامي (بُونَسُو)... فقال أحد الرّجالين:
 شو طَقْنَا بِالْعِيدِ حَتَّى نَمَارَسُو بَدِّكِ تَوَاخِدْنَا يَا (مَسِيو بُونَسُو)
 مَا دَامَ لِبْنَانَ الْكَبِيرَ مِثْلِ التَّرَانِ وَبَعْدْنَا: بَرِيْمُو وَسِيكُونْدُو وَتَارَسُو^(١٣)

بَدْنَا بِشَارَة، بَدْنَا رِيَاض...!

اعتقل الفرنسيون رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، ورئيس الوزراء رياض الصلح، وغيرهما من الوزراء والنواب في قلعة راشيا، كما هو معروف.. وربما كان الفرنسيون يتوقعون أن يثور الرأي العام الإسلامي وحده دون المسيحيين... وفعلاً، حدث ما كانوا يتوقعون، فانطلقت تظاهرة شعبية من المناطق الغربية الإسلامية، واتجه المتظاهرون نحو مجلس النواب وهم يهتفون: بَدْنَا رِيَاض، بَدْنَا رِيَاض...!

وتنبّه تقي الدين الصلح للأمر حالاً، وكان رجلاً وطنياً، من جماعة الميثاق الذي وضعه قريبه رياض، فخرج حالاً من المجلس واستقبل المتظاهرين على الباب وراح يردّد: بَدْنَا بِشَارَة، بَدْنَا رِيَاض... وإذ بالمتظاهرين تحوّلوا حالاً ليردّدوا:
 بَدْنَا بِشَارَة، بَدْنَا رِيَاض إِسْلَام وَمَسِيحِيَّة
 بَدْنَا حُكُومَتْنَا تَرْجَعْ وَالْوَحْدَةَ الْوَطْنِيَّة

ويومها قال ميشال شيحا: إن تقي الدين الصلح أفضل بمبادرته هذه مخطّط الانتداب الفرنسي.^(١٤)

والتُّوري تجنّس عن جد...!

مع نزوح الفلسطينيين عام ١٩٤٨ إلى لبنان، نزح معهم أهالي القرى السبع الذين كانوا قبل قيام إسرائيل لبنانيين يتبعون قضاء مرجعيون، وإذ بترسيم الحدود الجديد يجعلهم مهجرين في لبنان... طالب بعض هؤلاء بأن تعتبرهم الدولة مواطنين لبنانيين، ولكنّ الدولة لم تستجب لهم في ذلك الوقت. وسرت إشاعة في ذلك الزمان تقول أنّ الدولة سوف تمنح جماعة من (التُّور) المقيمين في منطقتي مرجعيون وحاصبيا الجنسية اللبنانية لأهداف سياسية معينة... فاشمأز للخبر واحد من أبناء أبل القمح وهي من القرى السبع، وقال:

لِبْنَانِي عَنْ أَبٍ وَجِدَّ وَمَا بَيَعَطُونِي جَنَسِيَّة
 وَالتُّوري تجنّس عن جدِّ اعترّوا يا لبنانيّة^(١٥)

نَحْنَا مَا بَدْنَا طِبْلِينَ...!

في عهد الاستقلال الأوّل أعطت حكومة رياض الصلح امتيازاً لشركة (التابلين) للبتترول بإنشاء

١٣. المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

١٤. القيل والقال، ص ١٨٤.

١٥. ثمانون، ص ١٦٥.

مرفأ لها في صيدا، يتمّ بوساطته نقل البترول من مصفاة الزهراني قرب صيدا... وراحت إشاعة
تقول إنّ الحكومة باعت بحر صيدا للأميركيين، وخشي صيادو السمك على أرزاقهم، فقاموا
بتظاهرات في صيدا، ثمّ في بيروت أمام السراي الكبير... وراحوا يردّدون:
يَا حُكُومَتَنَا خَلِينَا رُجَالِ الْمِينَا لَمِينَا
نَحْنَا مَا بَدْنَا (تَابَلِين) رِزْقِ الْبَحْرِ بِيَكْفِينَا

وقد تحوّلت الرّدّة على لسان الذين كانوا في الخلف لتصير:
نَحْنَا مَا بَدْنَا طَبَلِين طَبَلِ كَبِيرِ بِيَكْفِينَا^(١٦)

الكَرُوسَّة (من الفرنسيّة، وتعني بمفهومنا القديم: الطريق المعبّدة بالزفت)

عندما أصبح أحمد الأسعد وزيراً للأشغال العامّة، وبحسب العادة الدارجة حتّى يومنا هذا، وإرضاءً
لأتباعه في الجنوب، عمد إلى تعبيد بعض الطرق التي تخصّ ناخبيه، فلملم المناصرون أنفسهم
واستقبلوه بحفاوة، وهم يردّدون:

فَتَّحْ يَا زَهْرَ الْيَقْطِين وَغَمَّضْ يَا زَهْرَ الْكُوسَا
أَهْلًا وَسَهْلًا بِأَحْمَدَ بَيْتِكَ يَا لِي جَابِ الْكَرُوسَّة^(١٧)

ومن متهاتات السياسة، والسياسات التي كانت تدار بحسب أهواء المنتدبين، الذين كانوا يتكرّرون
في كلّ عصر مرّ على هذه الأرض الطيّبة، كما يتكرّر الزعماء وأصحاب الوجاهة، من البيك، إلى
الشيخ، فالإي الأغا، والأفندي... ننتقل إلى الناس البسطاء الطيّبين... إلى حكايات الحبّ وأوهام
الحبّ، برويها لنا أبو ملحّم، الذي يتحدّث عن (نصار) الذي كان يمضي السهرة بمنزل إحداهنّ
في الضيعة برفقة عدد من الزوّار، وسيتّ البيت المغنّجة، كانت تلاطف الجميع ومنهم نصار:

قَرَّبَ صَارَ يَسَايِرْهَا مَسْتَبْرٌ فِي حَسَنِ النِّيَّةِ
وَهِيَّي شَافَتْ زَايِرْهَا ضِحْكَتْ لَوْ فِي حِرِّيَّةِ
خِصْلِهِ مَا بَتَغَيَّرْهَا شَوْشِهِ وَخِلَاقِهِ مَرَضِيَّةِ

وانتهت السهرة على ما يُرام، ليسرّب نصار إلى بيته، وقد ظنّ أنّ المرأة قد وقعت في شبابه بلا
ريب، ولا بدّ من مبادلتها الحبّ باكراً عند الصباح، قبل أن تغير رأيها...

وَدَقَّ الْبَابُ بِقَلْبِ كَبِيرِ نَاوِي عَ حَبِّكَ الْأَشْبَهَاكْ
وَحَضْرَتَهَا قَامَتْ بِكَبِيرِ وَمَدَّتْ رَاسَهَا مِنَ الثُّبْبَاكْ
بُونَجُورِ، جَاوَبَهَا: بِنَاجِيرِ أَوْعَى تَقُولِي لِي شَوْ بَاكْ
ضَايَعَلِي شَي غَالِي كَتِيرِ كَتِيرِ وَعِينِدِكْ ضَيِّعْتُو
شِفْتِيهِ شَي يَا غَزَالِه؟

وَحَقَّ الْجَيْرَةَ يَا نَصَارَ مَبَارِحَ لَمَّا انصَرَفْتُو
كُنْسِتْ وَمَسَّحَتْ الدَّارَ مَن زَبَالَاتُو نَضَّفْتُو
فِي قَلْبِكَ فِكْرِي مَحْتَارَ لَوْ ضَايَعُ عِنْدِي شِفْتُو
لَكِن تَاتِتَاكْدَ يَا جَارَ فَتَشْ بَلَكِي بِتَلَاقِيَّةِ
فِي صَنْدُوقِ الرِّبَالِه!^(١٨)

سعدى بحاجة من وقتٍ إلى آخر لبعض المال، ووجدت في صندوق الدير الحلّ، فكانت تتناول من
هذا الصندوق ما تحتاج إليه، ثمّ تتقدّم من شخص العذراء للصندوق، فتصلي، شاكية لها سوء
حالتها، وتعدّها بأنّها سوف تردّ لها المال حالما يتيسّر الأمر معها... وقد لاحظ خوري الدير بأنّ

١٦. المصدر نفسه، ص ٩١.

١٧. مصطفى بزي، من الذاكرة الشعبية، دار
المحجّة البيضاء، ص ٨٢.

١٨. أديب حداد، زجليات أبو ملحّم، بيروت
١٩٦٧.

المال ينقص من وقت إلى آخر، ففرّر أن يتحرّى هذا الأمر، واختبأ خلف تمثال السيّد المسيح، وإذ بسعدى تدخل وتركع قدام شخص العذراء وتتمتم متضرّعة:
 دَخَايَكَ يَا إِمَّ الْقِدْرَةَ إِلَّا إِشْفَاكَ مَا إِلَيَّ
 بِحَاوَالِي إِنْتِ الْأَذْرَى بَدَيْ شَيْءٍ مِيَّةٍ لِيِرَّةٍ
 بِيَا رَمْنَا شَوِيَّةً مَصْرُوفًا

(وفتحت الصندوق، وتناولت منه حاجتها، وإذ بالخوري من خلف تمثال السيّد المسيح يصرخ) :
 ضَبَّيْهَا إِيْدِيكَ ضَبَّيْ صَبَّرْتِ عَلَيَّ كَتِيرِ كَتِيرِ
 شَوْخَمَّ نَتِينِي مَا بَشُوفِ خَلْفِ التَّمْثَالِ الْهَادِي
 وَسَعْدَى لَمَّا الْخُورِي صَاخَ زَوَاخِ وَالْمَسِيحِ الْبَيْنَادِي
 ظَنَّنْتُ بِالْتَّمْثَالِ أَمَّا إِنْتِ الْفَادِي
 قَالَتْ لَوْ: مِنْ دُونِ صَيَاخِ عَمَّ بِتَكَلُّمٍ مَعَ إِمَّاكَ
 حَطَّطَ عَنْ جَحْشِكَ وَارْتَاخَ تَتَحَشَّشْرَشَ عَمُولَ مَعْرُوفِ^(١٩)

بين ضيعة (وادي الزانية)، وضيعة (وادي السّت): كان إميل لحوود المحامي البارع، وزيراً للتربية عام ١٩٥١، وقد عين شاباً من قرية (وادي السّت)، معلماً في ضيعة (وادي الزانية) وكلاهما في قضاء الشوف. ولما كان هذا المعلم وحيد أمه، هرعت الوالدة إلى عند الوزير ترحوه أن ينقل ابنها إلى ضيعة وادي السّت ليكون إلى جانبها ويساعدها، ولكنّ الوزير رفض طلبها... وشعر المعلم بممرارة الغربة، وكان يرتجل الزجل أحياناً... فقال من قبيل (فشّ الخلق):
 لُسَانِي مَا بِيَقْصِدْ ذَمَّكَ وَإِنْ ذَمَّيْتِكَ شَوْهَمَّكَ
 بَضِيْعَةَ إِمِّي مِشْ مَقْبُولٌ مَقْبُولٌ بَضِيْعَةَ إِمَّاكَ

وشاعت هذه الرّدة على الألسن إلى أن وصلت إلى الوزير إميل لحوود، وكان شاعراً شعبياً ظريفاً، فاستدعى المعلم... الذي حضر إلى الوزارة مرعوباً... ولكنّ الوزير طمأنه، وطلب منه أن يقول الرّدة ولا يخاف، فرددها المعلم، فما كان من الوزير إلا أن قال له:
 يَا مَعْلِمَ يَسْلَمَ تَمَّكَ بَهَنِّيكَ بِخَمَّةِ ذَمَّكَ
 وَحَتَّى عَا فَنَّاكَ كَافِيكَ بَرْدَكَ عَا ضَيِّعَةَ إِمَّاكَ^(٢٠)

ومن معجن إميل لحوود نذكر هذه الرّدة الفكاهية أيضاً:

توكّل المحامي اللامع إميل لحوود في دعوى مهمّة عن سيّدة حشرية لعوب (نطناطة) وقد طلب منها ألاّ تتدخّل في مسار الدعوى، وهو يكفل ربح قضيتها. ولكنّ هذه المرأة راحت و(برطلت) اثنين من الساحل لكي يشهدا لصالحها في المحكمة، اسم الأوّل الياس بومدلج، واسم الثاني الياس التتوكي... وكان أن كشفت المحكمة أمر شهادة الزور هذه، وخسرت السيّدة الدعوى... وقد جاءت إلى الأستاذ إميل وقالت له: هيّك بتريد يصير فيّ يا إستاذ إميل! ... فأجابها على الفور:

مَنْ السَّاحِلِ جِبْتِ الْيَاسِيْنَ بَوْمِدَلْجِ وَالْتَّتُوكِي
 تَاشْهَدُو قَرَطُو قَرَشْتِيْنَ قَرَطُو الدَّعْوَى وَقَرَطُوكِي^(٢١)

أفوكاؤو (أي المحامي)

١٩. المصدر نفسه.

٢٠. ثمانون، ص ٧٣-٧٤.

٢١. إسكندر، أمجد، إميل لحوود، لا. ن.، بيروت لا. ت.، ص ١٠٢.

خسر إميل لحدود مرّة دعوى مهمّة، فقال له موكله: ميش معقول يا إستاذ إميل تخسر الدعوى ... وأنا صاحب حق...! فأجابه على الفور:

إِلْ بَدُو حَقَّو يَكُون مَضْمُونٌ وَيُوكَل (أَفُوكَاتُو) (٢٢)
القاضي مَصَاحِبُ لَوْ مَرَاتُو

ونذكر الشاعر الشعبي المشهور الياس الفرّان الذي كانت له صولات وجولات في عالم الفكاهة الشعرية الهادفة، بيد أن كثيراً منها لا نستطيع إيرادها في هذا المقام، نظراً لاحتوائه على ممنوعات كثيرة بحسب ما تفرضه العادات والتقاليد عندنا، على الرغم من حلاوته وعذوبته... ويُروى عنه أنّه كان لديه دكان، وذات يوم جاءته (صابات) وكانت جميلة الوجه والقد، وتقول شعراً... وراها بعد أن فاصلته بأمر الخضار، منشغلة عنه تتحدّث مع رجل ينادونه بـ(الحجّ) ، فما كان من الياس الفرّان أن قال لها:

بِتَقُولِي صَفْرَا اللُوبِي وَالمُشْمُشْنُ فَحَجَّ
دِيرِي وَجِهَكْ مِنْ صَوْبِي وَط..كْ لَلْحَجَّ

وأجابته صابات على الفور :

بَدِيرْلَكْ ط...ي وَبِتْ تَنْشَطُ تَتَكُون حَكَايَت
وَبِيكُون الْحَجَّ تَمَشَطُ وَإِنْتِ تَمَرِّيْت (٢٣)

ولا بدّ لنا أن نذكر الفكاهة في أدب شاعر الشعب عمر الزعّني، وهي التي تتناول المجتمع والناس والحكّام، وتصور ما يعانيه الناس، كما تصوّر مشاعرهم وأحاسيسهم... هذا الفنّان المبدع والناقد الظريف، كان صاحب المونولوجات المميزة، التي كان يطلقها بعضيّة وصدق... فنسمعه يقول في (الكرسي) التي يتكالب عليها أهل الوجاهة والسياسة والكياسة:

الكَرْسِي مَعْشُوق وَفَتَّانَ بِيَشْتَيِّبْ عَقْلَ الْإِنْسَانِ
بِيَقْفَقْ عَقْلَ الْإِخْوَانِ بِيُوطِّي مِينْ كَانَ لَوْشَانِ
وَبِيَعَالِي قَدْرَ الْهَفْيَانِ بِيَزْعَزَعُ نِيَّةَ وَوَجْدَانِ
وَأَهْلَ الْبِدِينِ وَالْإِيمَانِ بِيَفْسِدْهُمْ حُبَّ الْكَرْسِي
قَطِيعَةَ تَقَطَّعْ هَا الْكَرْسِي

وقال سنة ١٩٥١، واصفاً حال المرشّح للنيابة، وهي الحالة عينها في كلّ زمان... :

دَاعِيكُمْ إِسْمِي فَلَانِ مَطَالِيْبِكُمْ مَفْهُومِهِ
مِنْ أَشْرَفَا عَيْلَةَ بَلْبَنَانِ مَصَايِبِكُمْ مَعْلُومِهِ
مَغْرُورِ بَلِطْفِ الْإِخْوَانِ وَالْحُطَّةَ مَرْسُومِهِ
وَمَرْشَّحْ نَفْسِي نَائِبًا وَحَافِظَهَا عَالِغَايِبًا

بَسَّ أَنْتِخْبُونِي نَائِبًا

مَاضِيِي مَاضِي شَرِيفًا

وَطُولِ عُمَرِي عَائِشَنَ عَفِيفًا

قَلْبِي نُضِيفًا وَكَفِّي نُضِيفًا

وَخَالِي الْغَيْشِ وَالْمَصَايِبِ

أَوَّلَ بَنَدِ مَنْ الْأَرْبَعِينَ

بَحَلِّي السَّمَا تَشْتِي طَحِينِ

وَالْأَرْضِ تَتْبَعُ بَنَزِينِ

بَلَا رَسُومِ وَضَرَايِبِ

بَسَّ أَنْتِخْبُونِي نَائِبًا

٢٢. المصدر نفسه، ص ٩٣.

٢٣. جميل رشيد نجم، البديع الصحيح بالعامي والفصيح، ص ٤٦.

وَبِرَزَعٍ قَطْنٍ وَبِرَزَعٍ صَوْفٍ
بَأَرْضِ الْمَتْنِ وَأَرْضِ الشَّوْفِ
مَا يَتَصَدَّقُ بِكُرْهِ تَشَوْفٍ
وَتَضَرَّجُ عَالِجَايِبِ
بَسَّ أَنْتِخَبُونِي نَائِبِ

بِمَشْيِ النَّظَامِ وَالتَّرْتِيبِ
وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّهْذِيبِ
بَحَلِّي الْغَنَمِ مَعَ الدِّيبِ
يَعِيشُوا الْعُمَرِ حَبَايِبِ
بَسَّ أَنْتِخَبُونِي نَائِبِ

بَسَّ يَتَكَمَّشْنَ بِالْكَرْسِيِّ
بِيقُولِ يَارَبَّ نَفْسِي
لَكِنَّ الْحَقَّ مَا عَلَيَّةُ
الْحَقِّ عَالِي أَنْتِخَبُوا نَائِبِ^(٢٤)

بَوَفَّقْ مَا بَيْنَ الْأَدْيَانِ
وَبِرَاعِي حَقُوقِ الْإِنْسَانِ
وَبِحَافِظِ عَا حُدُودِ لُبْنَانَ

أما الأغنية الشعبية فيها الكثير من أنواع الفكاهات، والنكات، والطُرف، التي كانوا يتفكّهون بها في سهراتهم، يوم لم يكن ثمة من تلفزة ولا مذياع، ويوم كانت الألفة بين الناس أشدّ ترابطاً وتماسكاً... هذه الفكاهات التي لا تخلو من نقد لاذع، ومن سخرية محببة، كانت تزوّد الناس وبخاصة الشباب بنفحات من الفرح والانشراح والحبّ. الأغنيات تلك كثيرة جداً ونذكر بعضاً منها، ولاسيما تلك التي على وزن الدلعونا من مثال:

يَلِي حَبَّيْتِ مِنَ الشَّبَابِ سَبْعَةَ
وَخَلِيلِكَ وَاحِدًا لَتَحْتِ الرَّبْعَةَ

وَاحِدًا لَلرَّوْحَةِ وَوَاحِدًا لَلرَّجْعَةِ
وَوَاحِدًا يَغْنِي عَلَي دَلْعُونَا

وأيضاً:

يَلِي سَمَّيْتِ بِنْتِكَ لُونَسَا
وَمِتِلْ مَا هَجَمَ هِتَلَرْ عَا فَرَنَسَا

بَنَسِي الْعِبَادِهِ وَإِسْمِكَ مَا بَنَسِي
لَاهْجَمَ عَلَيكَ بِقَمِيصِ النُّومَا

وكذلك:

لَا تَشَوْفِي حَالِكَ بَيْضًا وَمُنِيحَةَ
كِلْ يَوْمِ وَالتَّانِي بَدَكَ تِشَالِيحَةَ
لَا تَشَوْفِي حَالِكَ بَيْضًا وَخِيَّاطَةَ
بَدِّي إِنْجَوَزَ مَا مَعِي فَرَاطَةَ

التِّيَابِ الِلي عَلَيكَ طَالِعْلَن رِيحَةَ
مَعْتَرَّ يَا بَيْهَا لِحَقِّ صَابُونَا
سِعْرِ الْبِنَاتِ بِسِعْرِ الْبِطَاطَا
عِنْدِي طَنْجَرَةٌ وَأَرْبَعُ صَحُونَا^(٢٥)

ونذكر أيضاً ما كان منها على وزن (عا الرينو...) وترقى إلى أوائل القرن الماضي:

عَالِي رَيْنُو الرَيْنُو الرَيْنُو
بَيْتِي بِرَاسِ الْهَيْشِي
قَطِيشِي وَأَرْبَعِينَ قَطِيشِي

دَلِينِي بَيْتِكَ وَيْنُو
جَانِبِ مِتُّوفِي عَرِيشَةَ
مَا حَالِكَ تَعْرِفَا وَيْنُو

٢٤. ديوان عمر الزعّمي، ويراجع: فاروق الجمّال، عمر الزعّمي - شاعر الشعب، دراسة قدّمت في المؤتمر الأول للثقافة الشعبية في لبنان، دار الحدّادة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٤٧/٢٤٨.

٢٥. عصام الحوراني، ضيعتي في البال، ص ٦٥.

حَبِيبِي لِمَا تَبَسَّمُ سَبَّحْتُ شَرْقِيَّةً تَقْسِمُ
هَاتُو لَوِ دِهْنِ الْبَسَلَسَمِ لَيَدَاوِي جَرُوحَاتِ عَيْنُو^(٢٦)

يبقى الشعر الشعبي لسان حال الناس في كلِّ عصر وأوان، وهذه النماذج التي اخترناها من شعر مطمّم بالفكاهة، نراها كم تتناغم والحكاية التي تخصّ واقع الحال في كلِّ عهد، وفي كلِّ مكان، وتتحدّث عن حقائق تاريخيّة تتّصل بلبنان وبشعبه المتنازع المشتّت أبداً بين آراء وتوجّهات متباينة، منذ فجر إنشاء هذا اللبنا الكبير، وما زال... كما أنّ لهذه الأشعار طابعاً إنسانياً، يبعث التجدّد والحياة في عروق النفوس الذابّلة... فالفكاهة مبعث لصفاء الأذهان، ولراحة البال، ولسموّ النفس ورقّيها، لأنّه مهما كانت مادّة الفكاهة سطحية تبقى لصيقة بالعالم الرحب الطليق، وبالمدى المنفتح الخالي من التوقع، واليأس، والعزلة، والتوتر، والضيّق، والانحباس... ولا مكان للفكاهة في أجواء الخوف والقلق والجوع. والفكاهة لا تعرف الأقفاص والسجون والمحرمات، فهي متنفس الإنسان الذي ينطلق بحريّة ويخرج من دوائر الكبت والممنوع، ذلك أنّ النفس الإنسانيّة توّاقه إلى التمتعّ بكلِّ ما هو ممنوع تمثيلاً مع المثل القائل: (كلّ ممنوع مرغوب). تنبع الفكاهة من القلب نقيّة، صافية، لا تعرف التكلّف، وهي صورة لصاحبها، في أكثر الأحيان، الذي يكون رحب الصدر، غير متعصّب، ولا مترمّت، ولا حاقّد، أو متكبرّ مغرور، وقد قال الجاحظ: «الجدّ مبغضة، والمزح محبّة».

نعم، كم نحن بحاجة إليك أيّها الفكاهة، في زمن اليباس العابس، وفي أوقات اليأس الكابس... كم نحن بحاجة إليك في أرضنا بعد كلِّ ضيق، فنشعر معك بالسلام المشرق، وبالحبّ النابض... ونبتعد معك عن أجواء الحروب التي لازمت أرضنا منذ مئات السنين... ونرجو ألاّ نردّد كما ردّد أجدادنا في أثناء الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ما قاله شاعر من بعيدا اسمه رشيد عسّاف:

طَعَمَيْتُونَا خَبْزَ شَعِيرٍ شَنِهَتْنَا أَوْلَ شَنِهَوْقَا
بُكْرًا بِتَقْوَمِ الْحَمِيرِ وَبِتَطَّالِبِنَا بِحَقْوَقَا

ويروى أنّه في هذه الأثناء وُزِعَ على الناس من قبل إدارة جبل لبنان، نوع من المرقّ الناتج عن سلق العضم، فقال الشاعر نفسه:

رَطَّلْ شَعِيرَ بَعْشَرِ قَرُوشِ وَالِدَامِي عَضْمَةَ وَكُرُوشِ
كِنَّا رُضِينَا بِشَنَهَوْقَا صَارَ بَدْنَا نَشْتَهِقُ وَنَهْوشِ^(٢٧)

أو أنّ نفصّل الارتحال على البقاء في بلد ضاعت فيه المقاييس، وانقلبت الأدوار، وعبث الصغار الصغار بأهل المكرّمات الكبار، ونقول مع من قال في بداية القرن الماضي:

يَا بِلَادِي عَا فَرَاقِكْ نَاوِي رَا جِئْتِ أَمَالِي خَسَارَةَ
صَارَ يَرْبُطُ فَيْكِ الْوَاوِي وَتِفِكِ السَّبْعِ الْفَارَةَ^(٢٨)

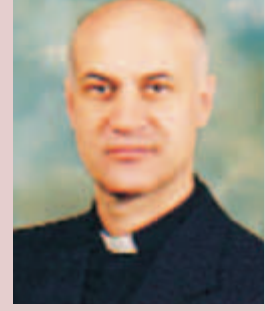
٢٦. أسعد صهيون، ما هبّ ودبّ في الشرق والغرب، المطبعة الأدبيّة، بيروت ١٩٣٠، ص ٣٨.

٢٧. جوزيف نعمة، صفحات من لبنان، الجزء ٤، بيروت ١٩٩٢، ص ١٦٦.

٢٨. جوزيف نعمة، حكايات جدّتي، بيروت ١٩٩٤، ص ٤٠.



صورة القيامة عند بولس



أ. جورج خوام البوليسي

الجسم والنفس معاً، وإنما الجسم غير الفاسد، الذي يسميه «جسداً روحانياً». فالقيامة، إذًا، بالنسبة إلى بولس، إنما هي شكل رفيع من الوجود، وشكل مختلف عن الشكل الحالي، في الوقت نفسه. إنها انتقال الإنسان من حال وجود عابر، وجود يطرأ عليه الفساد، إلى حال من الوجود يتمتع فيه بعدم الفساد، على شاكلة الوجود، الذي أنبأ عنه ربنا يسوع المسيح بعد قيامته من بين الأموات، إذ راح يترأى لرسله في مناسبات مختلفة.

آمن بولس كفريسيّ بقيامة الأموات، بيد أنه كفريسيّ أيضًا رجا القيامة كبعث للأموات من مئوهم لينالوا جزاءهم، كل على حسب ما صنع إبان مكوثه في هذه الحياة الدنيا. ولكن بولس، الذي عاين الربّ الناهض من بين الأموات، آمن أن القيامة التي يدعو بها، ويحثّ على الإيمان والتمسك بها، مرتبطة بمعجزة المعجزات، قيامة الربّ يسوع. لم تعد القيامة، في عينيه، نقطة يشتمل عليها نظام إيمانه اليهودي العقائديّ، بل غدت حقيقة ناصعة، وحدثًا ثابتًا، ومصيرًا ينتهي إليه الجنس البشريّ، بفضل قيامة يسوع الربّ. ليست القيامة، إذًا، عنده، «فكرة» أو مجرد تعليم، وإنما هي واقع كيانيّ، ووجود حقيقيّ، وحياة لا تعقبها حياة أخرى، وحالة من المجد تلبث فيها البرية، من دون أن يطرأ عليها فساد بعد.

هذه هي صورة القيامة، عند بولس، باقتضاب شديد؛ صورة تستمد معالمها من حدث فريد في التاريخ، هو حدث الربّ يسوع القائم بمجد، وتفرض نفسها على العقول البائسة، التي لا تزال تجهد في إنكار حقيقتها بالترويج لأفكار جوفاء.

١٥:٣٢، مثلًا، إلى حجّتهم، التي يدافعون بها عن آرائهم، هازئًا منها، يقول: «... إن كان الأموات لا يقومون، فلنأكل ونشرب، فإننا غدًا نموت!». وفي الواقع أنّ هذا القول شعار معروف، ينادي به تباع إبيقورس، ذي التعليم الماجن والإباحيّ، الذي لا يرى من الحياة سوى المتعة، ومن العالم سوى الوجه الماديّ. وقد التقى بولس، في أثينا، قَوْمًا على هذا المذهب، على حدّ ما يخبرنا به لوقا الإنجيليّ، في سفر أعمال الرسل (١٧: ١٨). وكان لهذا الفريق دعائه وأنصاره في كورنثس أيضًا، وقد أجازوا لأنفسهم أن يعترضوا على دعوة بولس، بالسخرية من تعليمه، الذي بثّه في كورنثس، كما سبقوا فهزئوا به، عندما ألقى عليهم خطابه في الأريوباغس (راجع أع ١٧: ٢٢-٣١)، في أثينا. لذا، لم يتورّع بولس، إذًا، عن التصديّ بشدّة لرواج دعوة هؤلاء الهدّامة، وعن الاضطرار إلى الاسترسال في موضوع القيامة.

من ناحية أخرى، لا يبدو قلق بولس منهمكًا بتوطيد الإيمان بالقيامة في قلوب الكورنثيين، قدر انهماكه بدحض مزاعم الفريق المناوئ، الذي لو نجح في زعزعة إيمان المؤمنين بالقيامة لأطاح بوجود المسيحيّة في المدينة. فالفريق المناوئ يهاجم إيمان أهل كورنثس بالقيامة، إمّا بمجرد إنكارها، وإمّا بإثارة أسئلة حول شكلها. وفي شأن الجانب الأوّل، يجادل بولس الخصم بإثبات صدق التعليم الذي أسداه، مبيّنًا في الوقت نفسه سخافة إنكار القيامة؛ أمّا في موضوع الجانب الآخر فينبغي بولس لإقامة الحجّة على أنّ القيامة أمر ثابت، بالاستدلال من أجسام المبروءات المختلفة. ومن الجدير بالذكر، في هذا الخصوص، أنّ القيامة، في عيني بولس، تشمل

عُرِفَت كورنثس بمشاكلها العديدة، التي قضّت مضجع الرسول بولس، واشتهرت جماعتها المسيحيّة بسخائها ونموّها وحسن استعداد أفرادها لمُد يد العون له، عند الضرورة. وليس من سبيل الاتفاق أنّ تحظى بأكبر عدد من المراسلات، وبأطولها على الإطلاق؛ بل إنّ أهميّة المدينة، في عيني بولس، حملته على القيام بعدة زيارات إلى الجماعة المسيحيّة، التي أسسها هناك. لم تكن مشاكل الفريق المسيحيّ ذا لون واحد، اجتماعيّ مثلًا، أو ذا عقدة فريدة، وحدته وتماسكه، على سبيل المثال؛ بل كان بينها مسائل عقائديّة تفرض نفسها بشدّة، كعشاء الربّ، وقيامه الأموات. في هذه المقالة، سوف نحصر اهتمامنا بهذه المسألة الأخيرة، التي يتطرق إليها بولس الرسول، على طول الفصل الخامس عشر من رسالته الأولى إلى الجماعة. سرعان ما يتّضح لقارئ الفصل المذكور السبب، الذي حدا بولس على الخوض في موضوع القيامة: فقد راح فريق من الكورنثيين يكفّ عن الإيمان بالقيامة، بعد أن كان بولس علّم بها، ونجح في حمل الكثيرين على اعتناق تعليمه. بيد أنّ من يقرأ بتمعّن ما يقوله بولس لأهل كورنثس يجد، في عبّ الأسطر، إشارة خاطفة إلى هويّة أولئك المبلبلين، الذين طفقوا يبتنون القلاق في وسط الجماعة. فهو يلجأ في



د. روجيه حجار

أربعمئة سنة على ولادة غاليليو: ١٦٠٩ - ١٩٠٩

غاليليو وبيده آلته التكنولوجية الرائدة وما مدى تأثيره على دراسة الكون الشاسع. تاريخ اختراع التلسكوب غير معروف بدقة. ولكن لا ريب أنه أول من صنعه، ما يعني أنه كان، ولا شك، من الحرفيين صاقلي عدسات النظر الزجاجية. لكن التلسكوب ينسب اليوم إلى ثلاثة هولنديين هم: هنس ليبريتشي (Hans Lippershey) وزكريا جانسن (Zacharias Janssen) وياكوب ميتوس (Jacob Metius). يومها، السلطات الرسمية لم تصدر أي براءة اختراع لأي منهم، وإن كان هنس هو من ساهم في انتشار الآلة في أوروبا. ولأن سنة ١٦٠٨ تعتبر سنة ظهور المرقاب الكاسر، فقد وصل خبر هذا الاختراع إلى غاليليو، الذي كان أستاذ الرياضيات في جامعة بادوفا، قرب البندقية، والذي كان من ميزات، إضافة إلى معرفته الممتازة بالرياضيات والفيزياء والفلك، مهارته في صقل العدسات وتصميم وصناعة ما كان يحتاجه من آلات ومعدات لاختباراته.

فما أن وصل الخبر لـ«أبو الرصد» حتى اجتهد في صناعة تلسكوب مواز لما كان يصنعه هنس. وبعد بضعة أشهر، بين حزيران وآب، استطاع مضاعفة قدراته إلى أن أنتج أفضل تلسكوب يكبر ٢٠ مرة في خريف ١٦٠٩، بحيث صوّبه نحو السماء بدءاً من تشرين. وفي آذار ١٦١٠، أصدر كتيباً حول اكتشافاته بعنوان «الرسول النجمي» أو باللاتينية التي كانت يومها لغة الجامعات والثقافة والعلوم: «Sidereus Nuncius». لم يتوقف غاليليو عن مراقبة السماء ودرسها، بل تابع المراقبة، وهو يدرس الظواهر في سماء الليل، ما أقنعه نهائياً بصوابية نظرية كوبرنيك حول ثبات

في ٨ كانون الثاني ١٦٤٢ توفي، في منزله في ضواحي فلورنسا، شيخ جليل عن عمر يناهز الثماني والسبعين سنة؛ وهو الذي يعرف اليوم بـ«أبو الفيزياء الحديثة»، و«أبو العلوم الحديثة» و«أبو الرصد الفلكي الحديث». [1] قد يتوارد إلى أذهاننا اسم إسحاق نيوتن (Isaac Newton) أو ألبرت أينشتاين (Albert Einstein)، لكنّه في الحقيقة غاليليو غاليلي (Galileo Galilei)، الذي عاش، منذ عام ١٦٣٤ وحتى مماته، في الإقامة الجبرية، ولم يشتهر إلا بسبب محاكمة Inquisition له لأنه كان يدافع عن فكرة ثبات الشمس ودوران الأرض حولها، أو هكذا تقول الرواية.

سنة ١٦٠٩، رفع غاليليو نحو السماء آلة بصرية حديثة حينها، كان أتقن صناعتها واستطاع تطويرها، ونعرفها اليوم باسم المرقاب الإنكساري: Refracting Telescope بالإنكليزية أو Lunette Astronomique بالفرنسية. بعد أربعمئة سنة، أي العام ٢٠٠٩، فإن العالم يحتفل بتلك اللحظات، بعدما أوجد التلسكوب ثورة في علم الفلك، أقدم العلوم قاطبة بالمفهوم الحديث للعلوم، وهو المفهوم الذي دعم ركائزه غاليليو!

أما أهم إنجازات هذا العالم التوسكاني (في إيطاليا حالياً)، فهي في الفيزياء أو ما كان يسمى يومها بالفلسفة الطبيعية. إلا أن الطريف هو أن شهرة غاليليو الشعبية مبنية، وإلى يومنا هذا، على صراعه مع الكنيسة الكاثوليكية، وهو صراع مبني بالدرجة الأولى على ما اكتشفه في السماء، كما تروي القصة. غاليليو مشهور كعالم فلك. وبما أن، هذه السنة، يُحتفل به وبالمرقاب (Telescope)، فلنذهب في رحلة نستنبط فيها ما أنجز





د. روجيه حجّار

غليلبي

الطول تحدّد فرق الوقت بين نقطة وأخرى على الأرض. فإذا ما عرفت خطأً الطول الذي أنت عليه وعرفت الوقت في غرينتش (Greenwich)، استطعت تحديد الوقت في المكان الذي أنت فيه، بل فلنقلب المعادلة: إذا ما حدّدت فرق الوقت بين موقعك وغرينتش، تستطيع تحديد خطأً الطول حيث أنت. لقد أنتج غليلبي خطوطاً تحتوي مواقيت كسوف أقمار المشتري لأشهر طويلة حسب توقيت مكان سكنه. إذا ما سافر أحدهم إلى منطقة بعيدة يأخذها معه، وحيث ما يصل ينصب مراقبه، فيحدّد الوقت المحليّ من حركة الشمس في السماء، ويرصد المشتري ليلاً ليحدّد الوقت المحليّ الذي يرى فيه كسوف أحد الأقمار الأربعة. مقارنة توقيت الكسوف في بلد الانطلاق ومكان الوصول يعطي خطأً الطول. هكذا فعل كاسيني (Cassini) عندما طلب منه لويس الرابع عشر رسم خريطة فرنسا. وهو ما فعله عالم فلك عندما أرادوا تحديد امتداد الولايات المتحدة الأميركية.

نحتفل إذاً في هذه السنة، بالذكرى الأربعمئة لولادة أول إنسان وضع بين عينه والسماء آلة بصرية، نعرفها اليوم باسم التلسكوب. كما نحتفل بما أنجزه وينجزه علم الفلك بفضل هذه الآلة، التي أتقن صنعها واستعمالها أبو العلم الحديث: غليلبي غليلبي.

منها، وهي الزهرة والمشتري وزحل، فرأى أنّ الزهرة تبرز أوجهاً شبيهة بأوجه القمر من دون أن ترى بدرأً، ويظهر هلال الزهرة عندما يكون الأقرب إلينا. أصبحت الزهرة أشبه بالقمر تعكس نور الشمس. أمّا أوجه الزهرة فهي تفضل محوريّة الأرض في مدارات الكواكب والشمس. لن أشرح هذه النقطة بل أتركها لك، عزيزي القارئ، موضوع بحثٍ إذا ما شئت!

نظر أيضاً غليلبي إلى كوكب المشتري، فاكتشف حوله أقماراً أربعة. لم يدرك أولاً أنّها أقمار، إذ إنّها تبدو في التلسكوب كأنّها نجوم في السماء. لكنّ مراقبته الحثيثة للكوكب أظهرت أنّ تلك «النجوم» تتحرّك بشكل منتظم حوله، فأدرك أنّ زحل أصبح محوراً ثانياً تدور حوله أجسام فلكيّة ممّا يفقد الأرض بعض دورها. اجتهد غليلبي. وبعد بضعة أشهر استطاع تحديد دورة كلّ من الأقمار الأربعة. وبعد بحثٍ دوّوب، تبين له أنّ فهم الأقمار وحساب مواقعها، بدقّة، يفرض عليه الإقرار بدوران الأرض، كما المشتري، حول الشمس!

ولكن، كيف؟ فلنقل إنّ أماننا موضوع تساؤلٍ وبحثٍ لفهم اكتشاف وتحليل غليلبي.

أمّا الكوكب الأخير الذي رصده عالمنا، فرأى شكله غريباً. أنظر الرسم بيده. لم يقدر وجود الحلقات التي فهمها بشكل جيّد عالم عاش بعد غليلبي، في بلد آخر هو كريستيان هوغنز (Christian Huyguens).

ولننه حكايتنا هذه بإنجاز آخر لغليلبي، يعيدنا إلى المشتري. فرصده للكوكب العملاق سمح له بفهم نظام أقماره بدقّة فائقة، واكتشف أنّ تحديد أوقات كسوفها يسمح لعالم الجغرافيا تحديد خطوط الطول بدقّة. قد تسأل ما العلاقة بين الاثنين. يجب أن تعرف أنّ خطوط

الشمس ودوران الأرض حولها. «اكتشافات» غليلبي غيرت وجه القمر ولطّخت وجه الشمس، وأكسبت المشتري (Jupiter) أقماراً أربعة، أظهرت أوجه الزهرة (Venus)، وكشفت مكونات درب اللبنة (Milky Way أو Voie Lactée).

القمر

اكتشف غليلبي أنّ سطح القمر تغطّيه تضاريس مشابهة لتلك التي على الأرض، كالجبال التي استطاع قياس ارتفاعها. قد يسخّف البعض هذا الاكتشاف لأنّه يعتبره اليوم من البديهيات. لكن، إذا ما وضع في منظور ما كان يعتقده العلماء في ذلك الوقت، نفهم مدى أهميّة ما أثبتته. فلقد كان على العالم يومها أن يكوّن رسماً، لأنّ الصور الفوتوغرافيّة هي نتاج أواخر القرن التاسع عشر. وغليلبي كان في الواقع، في جلساته الليليّة الطويلة مع المراقب، يضع قربه ورقاً يرسم عليها كلّ ما يراه بدقّة.

درب اللبنة

تبدو درب اللبنة كالشريط الأبيض على سماء الليل. النظر إليها بالتلسكوب كشف وجود مئات بل آلاف النجوم التي لا تراها العين؛ هي التي تعطي الدرب لونها وشكلها، كما تراها العين المجرّدة. وهذا ما اكتشفه غليلبي أيضاً.

الكواكب

كان الأقدمون يعتقدون أنّ الكواكب السيّارة هي مصدر نورها، كالنجوم الأخرى. وما يميّزها أنّها متحرّكة نسبةً إلى النجوم؛ وكلّها بحسب نظريّة أرسطو، وسط الكون، والكواكب والشمس تدور من حولها، إنّما تختلف طبيعتها عن الأرض أو الشمس.. نظر غليلبي إلى ثلاثة



جورج مغماس

من نبض باريس - ٢ -

تواضعوا عليه وألفوه وعلى منواله ينسجون ويحملون... وإنّ
الإنسان، حين يطمئن إلى يومه وغده، يسترسل في الترقى
والرفاه، ويضاعف عطاءاته وتطلعاته!

ومن الشواهد على تلك الحال في فرنسا منشأة ديزني الرّحبة
الضّخمة المذهلة الإبداع والرّوعة حتّى لكانها تحدّد ليد الله في
خلقه، أنواعاً وأشكالاً وألواناً وأضواءً، ما يوحي كيف هي الجنّة
الموعودة وما فيها من أسنّة «لا يفهم الحداث فيها إلا التراجم».

أمّا القصور والمتاحف، بل القصور المتاحف أو المتاحف القصور،
وإن كان يمكن القول إنّ كثرتها من تكاثر الأكواخ ومن بذل عرق
ودم وعظم يوم الاقطاعات كانت مستفحلة جائرة، فإنها هي
الأخرى تشهد بقيمتها وبالقيمين عليها وبمن تعج بهم من كلّ حذب
وصوب، وبينهم رُضع ومقعدون ومستون طاعنون... من يرون
ويرى أنّهم هم أيضاً أبناء الحياة، تضيف إليهم ويضيفون إليها
بالتربي والتثقف في هذه «المدارس المفتوحة».

وإذ الأمر كذلك والغصّة ملء القلب، صارت تتسلسل في عيني
صور دامية حارقة من بلادي والجوار وكلّ هذا «العالم الثالث»، عالم
البؤس واليأس وإحصاء الشهداء وقصائد الرثاء... مردداً حتّى
الآهة اللاعنة: أيننا منهم!

وإنها هذه الآهة إبّانها لازمتني وأنا في الطريق من منطقة الجورا
في جبال الألب نحو لوزان في سويسرا، حيث مركزا الجمارك باتا
أثراً بعد عين فلا من يسأل ولا من يفشّن، ودليلي العجيب أبداً آله
نظام تحديد المواقع (GPS) التي لا تخطئ بالتوجيه والتوقيت...
ونحن بعد في بلادنا، التي يجاور بحرّها سهلها والجبل، نخشى
الانتقال من هنا إلى هناك، ونحسب ألف حساب للسفر إلى بلد من
بلاد الإحوة والأشقاء...

إنّ المفارقات والعلامات الفارقة كبيرة حقاً... ومؤلمة حقاً... ولما
نزل ندعي!

وأنا أضيّق بنفسي كما يضيّق بي المقعد، ولكنّ مجيلاً نظري بين
الأضواء والألوان والمحفورات والمنقوشات وأنساق التّصاميم، وإذ
بجلبّة، تبيّنت أنّها عن مُسبّبة تشقّ دربها إلى مقعدها بصوتٍ وعصاً،
حتّى إذا ما بلغته لم يعد يرى من حجمها الضّئيل المتفوق
المحدود سوى رأسٍ مدورٍ أقرعٍ برّاقٍ كأنه من تخيلات أيام
القيامة!

ثمّ كانت استراحة ثانية، خرجت إليها كسائر الناس، ولكن لتعود
منها مهابة موقرة.

ولما انتهى العرض مكلّلاً بالتصفيق طويلاً ووقوفاً، وتقاطر الرواد
من أمم الأرض يتقاطعون في الأروقة كلّ نحو سبيله، كانت هي
تهرون نحو المصعد، تشرب إلى زر الاستدعاء، تلقي بيدها عليه
بلا هوادة وتعاتب إحدى المضيفات مرددة أن لا مجال لإضاعة
الفرص، لأنّ الحياة قصيرة وتجب الإفادة من دقائقها حتّى الدقيقة
الأخيرة، ولذلك ستعود إلى عرض يوم الأحد...

هذا التمسك بالحياة وبمتع الحياة مدهش حقاً!

ومدهش أيضاً أنّ هذه السيّدة تقنم صقيع الليل الباريسيّ إليه
وحيدة، وقد شاهدتها من ثمّ تندفع من ذلك دار الأوبرا نحو
الرّصيف، تدفع عربتها الصّغيرة الكدّي دفعا هزّازاً، ولا تبالي إلا
بإشارات السير، تلتزم بها التزام كلّ ملتزم؛ وما من أحد لا يلتزم
بالنظام، أيّ نظام، لكانما لا حاجة إلى شرطيّ ولا إلى زّمور.. ولا
إلى أيّ جدالٍ أو سجالٍ! فالمدينة، المدينة كلها، وعلى مدار الساعة،
حركة كبرى محسوبة مضبوطة.. صامتة!!

وفي غمرة دهشتي، بل إعجابي، استفاقت في صورة آباء وأمّهات
لنا يتدثرون بالعزلة، ولسان حالهم انسحاب نحو الاستسلام
للشّيوخية والتّقاعد دون مباحج الدنيا وأهداب الأنوار... فقلت في
نفسي: أين نحن في بلادي منهم في بلادهم، وإنّ على برد في
الطّبيعة وبرودة في العلاقات: نعاني من قلّة في الأمن والأمان
والثّامينات والضّمانات وسائر أسباب العلم والمعرفة والثّقافة،
ويَنعمون هم بوفرة منها في بيوتهم وشوارعهم ومؤسّساتهم في ما

«تطوّر صورة الشرق في الأدب الإنكليزي»

للدكتور ناجي عويجان

من الإنكليزية إلى
العربية

◉ | د. جميل الدويهي



وختم الدكتور الدويهي مقدّمته بالقول: «كم كان من الضرورة أن يُترجم الكتاب إلى العربية، بقلم الأستاذة تالا صباغ، ومن قبل المنظمة العربية للترجمة، التي لا تُترجم عادةً غير أمّهات الكتب، والمصادر الأصليّة. فبهذا الجهد المشكور، توفّر الكتاب للمثقفين العرب الذين تقفّ اللغة حائلاً بينهم وبين المعرفة الثاقبة في موضوع الكتاب، وللروافد التراثية الشرقية في الأدب الإنكليزي».

◻ | الدكتورة كارول كفوري ألقت كلمة باللغة الإنكليزية، قالت فيها: إنّ الدكتور ناجي عويجان ليس معروفاً فقط في جامعة سيّدة اللويزة، من خلال عطائه الأكاديمي ومساهمته في الكلية وفي الجامعة، بل هو أيضاً أستاذ له تقدير واسع في مجال دراسة الرومنطيقية والاستشراق. وإنّ الدليل على احترامه دولياً وعربياً تجلّى في ترجمة كتابه إلى اللغة العربية من قبل المنظمة العربية للترجمة.

وأشارت العميدة كفوري إلى أنّ الكتاب يناقش ضرورة مدّ الجسور بين الشرق والغرب من أجل

احتفاء بالترجمة العربية لكتاب «تطوّر صورة الشرق في الأدب الإنكليزي» للدكتور ناجي عويجان، عُقدت في جامعة سيّدة اللويزة حلقة دراسية، تكلم فيها كلّ من الدكتورة كارول كفوري (عميدة كلية الإنسانيّات في جامعة سيّدة اللويزة)، والأستاذ بسام ضوّ (المدير التنفيذي في لبنان للمنظمة العربية للترجمة)، والدكتور لطيف زيتوني (أستاذ في الجامعة اللبنانية الأميركية)، والدكتور أمين ألبرت الريحاني (نائب رئيس جامعة سيّدة اللويزة للشؤون الأكاديمية، وأستاذ الأدب العربي الأميركي والفكر العربي في القرن العشرين)، ثمّ كانت كلمة شكر للمؤلف (أستاذ اللغة والأدب الإنكليزيين في جامعة سيّدة اللويزة).

◻ | أدار الحلقة الدكتور جميل الدويهي (أستاذ اللغة العربية والأدب في جامعة سيّدة اللويزة)، الذي اعتبر أنّ الكتاب علامة فارقة في النقد، وترجمة بليغة لضرورة التبادل الثقافي بين عالمين، وأحدهما يتعطش للقاء بالآخر، ويغتنى بغناه.

وفي معرض استغرابه من نظرة البعض إلى الشرق والغرب وكأنّهما على طرفي نقيض، تساءل الدكتور الدويهي: «ألم يبشّر أمين الريحاني ذات يوم بأنّ جميع أنحاء العالم ستلتقي في نهر الأردن، بما للأردن من معنى رمزيّ في المسيحية؟ ألم يدع ميخائيل نعيمة إلى التناغم الأزليّ بين صورة المحسوس وصورة الملموس؟ ألم يبحث اللورد جورج بايرون، عن إشراق الشرق في رحلاته إلى ألبانيا، واليونان، والقسطنطينية، وطروادة القديمة، وكان الرومنسي المتمرد يطمح إلى زيارة فارس والهند لكي يطعم عبقريته الفذة بفاكهة الصوفيّة المشرقية؟ أولم يتقبّل الشعراء الغربيّون روحية الشرق في رومنطيقيتهم ورمزيّتهم، فنسجوا على منوال ألف ليلة وليلة، وكليلا ودمنة، وتأثروا بأشعار حافظ الرومي، ورموز ابن عربي؟»

وقال: «لقد نجح الدكتور ناجي عويجان، بما أوتي من خبرة أكاديمية عالية، ومعرفة وثيقة بالأدب الإنكليزيّ وكبار مبدعيه، أن يضيء على التأثيرات المشرقية في ذلك الأدب، منذ القرن السابع عشر حتّى يومنا هذا... ولعلّ أهمّ ما يستوقف الدارس لكتاب «تطوّر صورة الشرق في الأدب الإنكليزيّ» هو الرصانة في تقصي المعلومات، وتواضع العارف، والحياديّة المطلقة في المعالجة النقدية. بالإضافة إلى المعلومات الموثقة، والمقارنات النصّية، التي تؤكد مصادر التأثير، والكشف عن أسماء وأعمال قيمة لم تعد تُذكر في الأدب».



بالاعتراض النصي، كما لو كان المقروء مترجمًا، هو غير المكتوب تأليفًا. وهذه النقطة شديدة الأهمية في صناعة الترجمة، وهي عند المشتغلين بالترجمة تنظيرًا وتطبيقًا، تثير إشكالية بحثية في ما إذا كان المترجم يستطيع أن يرتقي بدوره ليكون كاتبًا لنص مؤلف، لا مجرد ناقل.

وعزا الأستاذ ضو نجاح الكتاب إلى الاختصار العلمي، والكثافة العالية في المعلومات، والخلفية المعرفية الواسعة، إضافة إلى التسلسل الزمني الذي اعتمده المؤلف، فبدت الحقب الزمانية المدروسة غير منفصلة.

وفد المحاضر آراء الدارسين في موضوع الشرق والغرب، فبعضها عاطفي، صب جام غضبه على الغرب، وبعضها الآخر تنكّر للشرق، واعتبر أن الغرب هو النموذج الكلي، أما الدكتور عويجان فلم يكن لا شرقيًا ولا غربيًا عندما بحث وكتب. «لقد كان باحثًا علميًا، وكفى بذلك ميزة. أراد أن يبحث عن الحقيقة ليفدّمها إلى القارئ العربي ليدفعه إلى خوض غمار العقلنة».

وخلص الباحث ضو إلى أن الدكتور ناجي عويجان ردّ الخلفيات العدائية بين الشرق والغرب إلى العوامل السياسية والاقتصادية، وليس إلى الأديان بذاتها. وناقش دور الاستعمار في صناعة الصورة عن الشرق. كما برهن أن الاستشراق ليس كله هادفًا إلى التمهيد للاستغلال والاستعمار، بل هناك من المستشرقين من يسعى وراء الحقيقة، ومن يتمنّع باستكشاف أعماق التجارب الإنسانية من دون أن يكون مرتبطًا بحركة استعمارية... «وهنا لم يجنح (الدكتور عويجان) إلى المبالغة التي جنح إليها الدكتور إدوارد سعيد في بحوثه عن الاستشراق، عندما قولب كل تجارب المستشرقين في إطار خدمة الاستعمار والإمبريالية فقط، فبدأ وكأنه يحمل الاستشراق وحده مسؤولية الاستعمار، بينما الحقيقة أن الأصل في الاستعمار هو المصالح السياسية والاقتصادية، والاستشراق هو جزء ليس أكثر».

وتحت عنوان «الشرق بالكاميرا الإنكليزية» تحدّث الدكتور لطيف زيتوني عن الكتاب بوصفه كتابًا تاريخيًا وسياسيًا وأدبيًا معًا، في زمن تطغى عليه الحدة في الخطاب والوحدانية في التفكير. وقال إن الدكتور عويجان حدّد طبيعة الصراع بين الغرب والشرق بأنه صراع سياسي واقتصادي وعرقي. «ولا أخفي عليكم أنني تابعت صفحات الكتاب وأنا أخشى أن يضيف المؤلف بعدًا آخر للصراع هو البعد الديني... ولكن الباحث لم يفعل، وحسنًا كان ذلك. فالحروب الدينية، ومنها الفتوحات الإسلامية وحملات الفرنجة، لم تخرج يومًا عن الإطار السياسي والاقتصادي».

واعتبر الدكتور زيتوني أن الكتاب أفضل دليل على أن النزاعات بين الشرق والغرب كانت غالبًا

المصلحة العامة، معبرة عن سعادتها لافتتاح الحلقة الدراسية.

وتناول الأستاذ بسّام ضو «الموضوعية والاستقصاء في كتاب تطوّر صورة الشرق في الأدب الإنكليزي»، فأضاء على ضرورة التفاعل والتحريك، باعتبار المكان الجغرافي ليس منغلّقًا، بل منفتحًا أمام آفاق لا متناهية، وهو ليس سجنًا طبيعيًا محكم الإغلاق بباب ذي قفل بلا مفتاح، بل هو نقطة انطلاق نحو الحرية، ولا سيّما عندما ندرك أنها هي سرّ المفتاح».

ووصف الأستاذ ضو عمل الدكتور عويجان في الكتاب بالاستقصاء، فقد نجح ثلاث مرّات في كتابه: «الأولى عندما أحسن اختيار النماذج الإنكليزية، والثانية عندما اتقن عرضها تحليليًا ونقديًا، والثالثة عندما لم يقع في الإطناب الكمي، ولا في الاستطراد التفرّيعي الذي يضلّ القارئ، ولا في الاستنتاجات غير المسندة إلى براهين».

وأشار المحاضر إلى أن الكتاب لا يعاني أبدًا من ابتعاد المسافة بين المؤلف والمترجم، فكلاهما يتناغمان في حضور واحد، وليس في حضور متبادل مشوب



وفد الدكتور الريحاني خصائص الكتاب، وهي:

١. توظيف المادّة التاريخيّة في سبيل متابعة الحالة الثقافيّة الجديدة الناشئة عن اهتمام الأدب الإنكليزيّ بشؤون الشرق وشجونه. هذا الاهتمام لم يقف عند حدود اكتشاف عالم جديد يكاد يكون غريباً عن الغرب، بل تنامى إلى درجة إدخال موضوع الشرق كمادّة أدبيّة جديدة غير مألوفة في نصوص الأدب الإنكليزيّ ابتداءً من القرن السابع عشر.

٢. ملاحظة المؤلف لتطوّر هذا الاهتمام من مستوى وصف المواقع الأثريّة والتاريخيّة والجغرافيّة، إلى مستوى الاستيعاب لأساطير الشرق وقصصه وحكاياته وأخباره كمادّة إبداعية جديدة على الأدب الإنكليزيّ آنذاك. كذلك، فإنّ المؤلف يتابع مسألة تطوّر صورة الشرق في الأدب الإنكليزيّ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عبر الأغراض الأدبيّة المختلفة، بدءاً من الوصف ووصولاً إلى المسرح، ومروراً بالسرد، والرحلة، فالترجمة، فالبحث، فدراسة اللغات الشرقيّة وتأسيس حركة الاستشراق، فالرواية والشعر.

بسبب النفوذ والثروة، «وأنّ الوجه الثقافيّ فيها هو قناع ووسيلة. فلا وجود لثقافيّ بل لاختلاف ثقافيّ يتمّ تضخيمه من أجل استغلاله، ثمّ يعود إلى طبيعته بعد أن تزول الحاجة إليه». والمؤلف يعرض صورة سلبية للإسلام في الأدب الإنكليزيّ قبل القرن السابع عشر. «فإذا تحرّينا هذه السلبية، وجدناه في الحاجة إلى تعبئة الناس للمشاركة في الحملات الصليبيّة التي شهدتها أوروبا في ذلك الزمن».

وأشار الدكتور المحاضر إلى أنّ الكتاب يبيّن للمؤرّخ الذي يروي التاريخ، وللسياسيّ الذي يصنع التاريخ حقيقة النزاعات التي جرت في الماضي، ثمّ خلص إلى أنّ الكتاب واكب صورة الشرق في أدب الإنكليز في القرون الثلاثة الأخيرة. «وقد اجتهد المؤلف في تقصيّ هذه الصورة منذ بداياتها، وفي البحث عنها في مصادرها المباشرة، وفي بيان ما طرأ عليها وتحليل أسبابه، بحيث بدا الكتاب أميماً لعنوانه». كما أنّ الكتاب كشف الصراع بين الشرق والغرب في شموليّته، وأكّد أنّ تاريخ الأدب لا ينفكّ عن التاريخ العامّ، وبيّن «أنّ البحث عن الماضي كالقراءة في الفجنان. فهناك دائماً الكثير من التفل الذي نظنّه معطيات حسّية، والكثير من الخيال الذي نظنّه تحليلاً موضوعياً، والقليل من الحقيقة التي نظنّها كاملة».

من جانبه، تناول الدكتور أمين ألبرت الريحاني «إشكاليّة الشرق في الآداب الإنكليزيّة»، فتطرّق إلى موضوع التجاذب بين قطبين، باعتباره مسألة جدية «لأنّها تطرّح، بقصد أو بغير قصد، إشكالية حوار الحضارات، أو تصادم الحضارات، منذ القرون الوسطى وتحديداً منذ برزت معالمها في القرن السابع عشر، قبل أن تصبح هذه الإشكالية موضوع الساعة، بل الموضوع الأبرز والأكثر تداولاً مع نهاية القرن العشرين ومطلع هذا القرن. ولئن كانت هذه المسألة تتمتع بجوانب إنسانيّة مختلفة، كالجانب الاجتماعيّ، والسياسيّ، والاقتصاديّ، والثقافيّ، أو تعاني منها جميعاً أو من بعضها بنسب متباينة، فالجانب الأدبيّ يبقى الأبرز والأكثر ثراءً من زاوية المرأة الحضاريّة التي من خلالها يرى الواحد منهما الطرف الآخر، بحيث يشكّل مادّة إيحائيّة خلاقة تعرّز النصّ الأدبيّ وتغنيه تجربةً وبعداً ثقافياً جديداً يشكّل لقاهاً حضارياً لمولود أدبيّ غير مألوف».

وأوضح الدكتور الريحاني أنّ كتاب الدكتور عويجان يتخذ المنحى التاريخيّ عامّة، وهذا المنحى دونه مخاطر، «أقلها الوقوع في السرد دون التحليل، والوقوع في العرّض والتّبيان دون المناقشة. غير أنّ المؤلف عرف كيف يتجنّب بعض تلك المخاطر. فهو لم يقف عند الحدود التاريخيّة للمسألة المطروحة، بل تجاوزها إلى المناقشة، والتحليل، والاستنتاج، بحيث جمّع بين الخاصّتين لتأتي دراسته ثريّة وموضوعيّة».



٥. مناقشة المؤلف للأثر الشرقي في أعمال كبار الشعراء والأدباء الإنكليز في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فيجول على خصائص الأعمال البارزة لكارلايل، وكولدرج، ووردسورث، وبايرون، في نصوصهم الشعرية والبحثية، والقصصية، والروائية، متبعا موضوع الشرق إستيحاء، ووصفا، وتقليداً ومناقشة؛ بحيث يتحول المجهول والمرفوض والمذموم تدريجياً إلى المعلوم والمقبول والمستحب كما مادة تاريخية واجتماعية وأدبية من شأنها تلقيح الأدب الإنكليزي بلقاح عالم شرقي بشكل مادة إحياء جديد لأدب غربي جديد قبل فكرة إدخال الشرق مادة من مواد الإبداعية والفكرية والأنثروبولوجية. والمهم في هذا المجال أن المؤلف قد توقف عند محاور فكرية نبعت من تعاضل الاهتمام بالمواضيع الشرقية، فناقش عدداً من المواضيع التي ارتبطت بمادة الشرق، وشكلت اهتماماً أدبياً قائماً بذاته كموضوع الخيال، والغراب، والحضارة الأخرى، والاختبار، والتجربة العقلية، والتجربة العاطفية، وكان الشرق تجاوز ذاته ليترجح جملة من المواضيع الإنسانية والأدبية الصالحة في كل مكان وزمان.

واعتبر الدكتور الريحاني في ختام محاضراته، أن الدكتور عويجان بدا وكأنه يرد على إدوارد سعيد من غير أن يُسميه. «في حين قاس إدوارد سعيد في كتابه الإستشراق صورة الشرق، كما يراها المستشرقون الغربيون، بمقياس سياسي ينطوي على مقتربات سلبية نابعة من فكرة الاستعمار والتسلط والتبعية، ونازعة منزع المبالغة في كثير من الأحيان، نجد ناجي عويجان مسلط الضوء على إيجابيات هذه الصورة الشرقية في الأدب الإنكليزي، متوقفاً عند حسناتها ومنافعها من باب التبادل الحضاري، والأدبي تحديداً».

□ | وأخيراً كانت كلمة للدكتور ناجي عويجان، شكر فيها جامعة سيده اللويزة بشخص رئيسها الأب الدكتور وليد موسى، ونائبي الرئيس: الدكتور أمين الريحاني والدكتور أسعد عيد، كما أعرب عن امتنانه للدكتورة كارول كفوري عميدة كلية الإنسانيات، لدورها الفعّال في تشجيع الأبحاث في الكلية، وللدكتور منصور عيد رئيس قسم العلوم الإجتماعية والسلوكية في الجامعة على مساهمته في مراجعة لغة الترجمة. كما وجه الشكر العميق إلى الدكتور الطاهر لبيب رئيس المنظمة العربية للترجمة، والأستاذ بسام ضو المدير التنفيذي في المنظمة، ثم إلى الحضور، فأفراد عائلته وعلى رأسهم عقيلته السيده نوال.

٣. تأكيد المؤلف، في غير موقع، أن الشرق في الأدب الإنكليزي تطورت صورته بحيث «لم يعد عالم السحر والغرائب والألغاز، بل عالماً يسكنه أناس حقيقيون». كما لم يعد عالم الحروب والوحشية والجهل، بل مرتعاً للسلام والحكمة. كذلك لم يعد الشرق موطناً للديانات الخاطئة والعادات الغربية في إشارة لتحويل النظرة إلى الإسلام بحيث باتت نظرة إيجابية بناءة بعد أن كانت عدائية هدامة.

٤. استخلاص المؤلف أن الباحثين والمستشرقين الإنكليز في القرن الثامن عشر قد ساهموا في «ترويج فهم أفضل لثقافة الشرق وأدبه... كما أرسوا قاعدةً وطيدة للأدب الشرقي الحقيقي في إنجلترا». بكلام آخر، حاول المؤلف أن يتوقف عند إيجابيات الشرق كمادة اجتماعية وموضوع أدبي وعنصر ثقافي جديد...



«خليل» لجورج مغماس

بين الضحكة والفكاهة، وأدب «التفشيظ الطريف» والحكاية

◦ | د. عصام الحوراني

«خليل»، هو عنوان كتاب صدر مؤخرًا للأديب الشاعر جورج مغماس. يقع في مئة صفحة، ويحتوي على عشرين «خبرية» مغمسة بالفكاهة والطرفة والظرف والدعابة والبسمة. وخليل هذا صاحب موهبة فذة في السرد والإخبار، نجد أمثاله في كل مكان وزمان، وهو صورة حيّة ناطقة من تراث مجتمعاتنا الشّرقيّة، التي كانت تتميز بالجلسات والسّهرات والمصاطب، كما تتميز بغياب شخصيّة الفرد على حساب العائلة والأهل والأقارب والجيران وأهل البلد... خليل هذا حكاية أهل القرى المطعمّة بالملاحم والأساطير البلديّة الخاصّة، والتي تحمل، على الرّغم من بساطتها، نفسًا ملحميًا، فيه نكهة جلجامش وأنكيكو في أسطورتها، وهوميروس في الإلياذة والأوديسة، وسيف بن ذي يزن وعنترة بن شدّاد والزّير سالم وحمزة البهلوان وغيرها من أساطير الخيال والبطولة العربيّة. سوف نندوّق في خبريات خليل طعامًا لبنانيًا خاصًا طيبًا، ونشمُّ فيها رائحة العنقوان والشّموخ، ونسمع فيها صوت الحكواتي الهادر من خلف ذلك الرّمان الغابر؛ وفوق هذا وذلك فحكايات خليل هذه فيها نضارة الرّبيع، وفكاهة الصّيف وأعاصير الشّتاء، وفيها خيال بديع، وأمثال، ووصف، وبلاغة... فتعال معي أيها القارئ العزيز، نتصفّح معًا هذا الكتاب الطّريف المميّز بلغته وصوره وألوانه وأشكاله وأحلامه.

نسَمّي، في بلادنا، الخبريّة التي تتلوّن بالمبالغات، والافتخار بالذات، والاعتداد بالنفس، «تفشيظًا». وهذه اللفظة السّريانيّة الأصل تطلق على هذه الأخبار المبالغ فيها عن طريق أعمال الخيال المجنّح. هذا الخيال المبدع، يسحق أمامه الكذب الذي يتلاشى ويذوب في أعماق «المُشّط»، صاحب النّفس الانبساطيّة التي تحمل في أعماقها: الطّيبية، وحسّ الفكاهة، والأحلام التّديّة، والصّحبة الطّريّة، والمرح الدائم، والشّوق المتعالي. فالكاتب ينقلنا إلى عالم البهجة والانسراح مع هذه الخبريات التفشيظيّة التي يلذّ لنا سماعها، وهو الذي عرف خليل في صغره، فيقول في المقدّمة: «لكم كنت أنتحي ناحية من مجالسه، أصغي بنهم إلى مشوّقاته، مثلي مثل كلّ من يحبّ الحكايات! فقد كان الحكواتي، وكان صندوق الفرجة، وكان ما صارت عليه حال التّحوّلات وتجليّاتها...» هكذا خلّيل جورج مغماس هذه الحكايات الخبريات بأسلوبه المغماسيّ الفريد المميّز، فكانت أدبًا خاصًا مميّزًا يضحّ بالحياة.

جورج مغماس يرسم، ببراعة ورشاقة وحنق، صورة حيّة ناطقة لشخصيّة تتكرّر في كلّ زمان ومكان في بلادنا؛ إنّها شخصيّة خليل جسدًا وروحًا، يتعامل معها بفنّيّة ذوّاق، وبإبداع بارع في عمليّة سير أغوار النّفس الانسانيّة والغوص إلى الأعماق، فيتعرّف القارئ بمرورنا إلى هذه الشّخصيّة الانبساطيّة التي ترتبط بالفكاهة، كما ترتبط بالمجتمع والصّحبة. وخليل لا يعيش من دون هؤلاء الأصحاب كبارًا وصغارًا، يعرفهم ويعرفونه، يحترمهم ويحترمونه، ولا يملّون من



قتل الحية الضخمة جداً، والتي تلاشت أمام ناظري خليل، وقد «صدر عنها صوتٌ تردّد صداه في عروق الصّخور، فكادت تتشقق...» كذلك الأمر مع حجال خليل التي أرهاها بطلق واحدٍ فكانت «حول كبة اللهب... لا من يدها ولا من رجلها». وأيضاً في «خليل وعلبة السّردين»: «... ساحة البركة ماءً ودماء... وحولها في الجلول، قِططُ أشكالٍ وألوانٍ منفوخة مبطوحة». وكذلك المعركة الطّاحنة مع (ذّب خليل) والممزوجة بخواطر حالمة عن جميلة... التي «يفرّ الرّمان من صدرها». وكان بين خليل والدّب، الذي أربه الضّيعة كلّها وأرعبها، كراً وفرّاً، وصارا «بين نارٍ تشتعل ونار تنطفئ... حتّى أنك خليل صبره فراح يتراجع...» وعندما همّ خليل بالإدبار هتف به صوت العنقوان: «إلى أين يا خليل؟ إنّها ساعتك لإنقاذ الضّيعة من وطأة هذا الدّب». ويقول: «فاعليت ظهره وطوّقت رقبته بساعدي، ثمّ عقدت حولها حزامي الجلديّ العريض وضغطت حتّى نوّخته وأخضعته وانصاع لي، فقدته إلى السّاحة... ولّمّا سلخناه، صار جلده مضرب مثل في الرّحابة...»

ويتجلّى العنف العدوانيّ الشّهوانيّ الذي يتحوّل إلى محبّة في حكاية خليل مع الذّئبة التي صادفته وأحبّته بعد أن توثبا وتعاركا فأنهكته وأنهكها وسط عاصفة ثلجيّة، ولكّنها عادت وقادته إلى جُحرها حيث استضافته واهتمّت به، ونشأ بينهما ودٌّ متبادل، وصارت مجيرته ومعلّته، إلى أن توقّفت العاصفة وعاد إلى بيته. كذلك كانت معركة خليل مع الأفعى العملاقة التي كانت «كقافلة أفيال تجرف بضمها معزاة بعد معزاة». ويقول: «وانقضضت علي رأس الأفعى... فكانت بيني وبينها معركة، كان لي فيها قصب السّيق». ولا ننسى أيضاً خبريّة قطاعة الطّرق الشّلاحة ناصرة بنت اسكندر القدوم، التي قتلها بالنيابة عنه ابن عمّها يوسف، من أجل غسل العار الذي ألحقته بالعائلة.

هذه الشّطحات ليست بأكاذيب تلفّق، بل هي، وعلى الرّغم من المبالغات التي لا يصدّقها عاقل، صناعة خيال، فيها حدق ومهارة وجمال؛ وخليل نفسه، يشكّ ويتأكّد، فنسمعه أحياناً يردّد: «وما حدا إلو يمين يحلّني»، و«لا يمين لكم عليّ تستحلفونني!» بل هي الحقيقة بعينها، ودلّ من يكذب. وقد يشكّ خليل بثقة سامعيه، ومدى تصديقهم ما يخبرهم به، فتراها يخاطبهم محدّراً في خبريّة (بندورته): «إسمعوا، وحذار أن يفكّر أحدٌ منكم أنّي أبالغ، فجميعكم تعلمون أن كلّ كلمة أقولها صائرة وواقعيّة...» وهو أيضاً يقول للمتحدّثين حوله في مجلسه: «يا سادة يا كرام، قد تقولون: خليل يزيدها. ولكنّ ما اعتدت إلاّ أن أصادق الصّدق، أرى بعينه وأنطق بلسانه، وبصدقٍ أقول...» ويوم قال له واحد في مجلسه: -ولكن، لم تأتنا اليوم من أخبارك إلاّ بالظريف اللطيف، فأين هي تلك العنتريات المثيرة؟ وينتفض خليل لدى سماعه ما يقول محدّثه: «- عنتريات؟ وهل أنا من

أخباره ويطلبون منه المزيد. وخليل، مع رواد مجالسه، صاحب أخلاق عالية؛ فهو، كما يقول المؤلّف: «لا يخدش من كرامةٍ أو عفة... إنّهُ الأنيس الرّشيد، الفكه بتوّد، الدّرب اللسان بلا حدّة ولا تحامل، واللطيف الذي لا يُثقل محضراً ولا يَغتاب أو يتنقلّ».

وشخصيّة خليل، كما يصوّرها الكاتب، شخصيّة انبساطيّة تحبّ الحياة وتمتّع بالحيويّة، وهي دائمة البحث عن الاستثارة، وعن تأكيد الذات، تماماً كما يصف أمثالها علماء النّفس والاجتماع. وهذه الشّخصيّة تميّز أيضاً بالتّماؤل، وبالتّفاعل مع النّاس، وذلك عن طريق الفكاهة والدّعابة والنكتة وما شابه. ويقول عدد من علماء النّفس أنّ من أهمّ وظائف الفكاهة أنّها تعمل على التّصريف أو التّنفيس عن الطّاقات العدوانيّة والجنسيّة الكامنة في أعماق النّفس الانسانيّة، وهي بالتّالي مثال التّعبير الرّمزيّ البديل عن التّعبير العدوانيّ الواقعيّ. فنحن نرى كيف كان خليل ينفس عن هذه الطّاقات العدوانيّة بهذه التّشبيطات التي تتلوّن بالفكاهة والحبّ. فأنّت ترى ذلك في شطحات خليل مع

باعة الخيال؟»، ونراه في حديثه (عن يوم الأعاجيب) يردُّ على عديله الذي تَلَفَّظَ بكلمة: معقول... فيجيبه حالاً: «معقول وألف معقول...» وتبقى الثَّقة الخرساء قائمة بين خليل ورواد مجلسه، أليست الحياة ضرباً من خيال بخيال...والله أعلم! لكنَّ الواقع يقول: «لا هو يملُّ الإخبار ولا هم يملُّون الإنصات...»


هكذا نرى كيف ينضُّس خليل بهذه الخبريات التَّشيطِيَّة عن عدوانيَّة كامنة في أعماقه وفي أعماق كلِّ إنسان؛ وهي مع حبكة جورج مغماس وصياغته البارعة، تتماهى بهذه العنتريات المستطابة والقريبة من القلب والتي «تشيل الهمَّ عن القلب». إنَّ الكاتب يجعل من هذه الحكايات مسرحاً تجول على خشبته الأخيلا بأجنحة نورانيَّة، وتصول الأفكار بما تحويه من إرشاد وأمثال وفلسفات وآراء متنوِّعة، وذلك ضمن بناء متين اشتهر به المؤلِّف في كلِّ ما كتب، وبخاصَّة في أسلوبه الذي يميل إلى العفويَّة والسَّهل الممتنع، مع براعة في الوصف، ومرونة في استخدام التعبيرات المغماسيَّة المناسبة وفي محلِّها.

بالنسبة إلى الوصف، فقد أضاف المؤلِّف إلى هذه الحكايات صوراً فيها الدقَّة الملتصقة بالتفاصيل، المغمَّسة بمشاعر زوقيِّ مُصبحانيِّ يعبُّ من فيض الخاطر لَمَحاً ولَمَعاً، وقد آخى بروحه وكليَّته هذي الظلال المترنحة التي تعانق أمواج بحر زوق مصبح وما يتهدى عليها من ألوان التلال والجبال في كلِّ فصل، فإذا «كان الطقس ربيعياً: العريشة أوردت، وبزغت عناقيدها. وتحته البركة مرآة لما في الفضاء من زرقة بعيدة أو خضرة قريبة. وثمة زقزقات وفراشات ونحلٌّ على أكمام الزَّهر...» وفي الصَّيف قام خليل «في غده الباكر يَضري الدُّروب صوب قريته المغمورة بظلال الجبال وسقسقات الينابيع من صدور الصَّخور، وبين رتل الدُّلب والصَّصاف...» وهو في كلِّ فصل وفي كلِّ بقعة من الروابي والوهاد المحيطة بمطارح خليل، هذا اللبنيَّ المعاند أبداً، المعتدِّ بنفسه عنفواناً وكبراً وكرامة، المغمامر منذ ألوف السنين، هذا الخليل، هو الرَّمز للقرويِّ اللبنيِّ المؤمن بربه وبشفيعه، وبالأرض الخيرة المعطاء التي أعطت الخيرات ولا تزال من مثل: عريشة خليل، وبندورة خليل، وقناة خليل، وبطاطا خليل، كما أعطت أيضاً ما يشبهه: فحل خليل، وحجال خليل، وبيضة خليل، وسمك خليل، و... أعطت «صناعة الفرح التي هي من روح المحبَّة والسَّلام، في وطن السَّلام الذي كان وما زال مأوى للمضطهدين والمعدَّبين في الأرض. و خليل من أبناء تلك الرُّوح، تعلَّمها وقال: نعم، وهذه فلسفتي لأنَّها قناعتي، وقلَّ خليل قال: القناعات فلسفات».

ولقد طعم الكاتب هذه الخبريات/ الحكايات بالأمثال التي هي من صلب أدبنا الشَّعبيِّ، وهي عصارة فلسفة الحياة وتجاربها وأحوالها، من مثال: من شبَّ على شيء شاب عليه، وراحت السُّكرة وجاءت الفكرة، وزاد في الطين بلَّة، والمجالس بالأمانات، و«كالعرِّ يكمن حيناً ثمَّ ينتشر»، وغيرها. كما أنَّ الكاتب لوَّن هذه الأخبار والصُّور بأسلوبه الخاصِّ المميِّز، الذي يحاكي السُّرد، والبناء، والأبعاد، فيبعث فيها الحياة تسري في عروقها بمرونة ولطافة، مستنهضاً تراثنا الحيِّ، مع عباراته التي تتألف والحادثة لونا وطعمًا ورائحةً، وانسجامًا وتماسكًا وتوافقًا، فتقرَّبها من الواقع

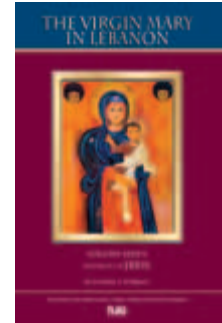
على الرِّغم من شطحات الخيال وقفزات المبالغات والتَّشيطات الخليليَّة. ونقرأ من تعابيره: «طرَّبَّضه بكأس عرق، وصارت فرَحْتُهُ إلى قرَعَتِهِ، وضرب الأخماس بالأسداس، وكان الرِّجال في محابس الأنفاس، حتَّى اقتحمت الجمع شذقاء شيرة النَّساء، نفثت ريحها في مجامرهم، فتأجَّجت في محاجرهم... إلى أن كان يومٌ كان فيه ما يكون حين جمام القَدح طُفناً... حتَّى إذا ما تبينَّ خيطها الأبيض من خيطها الأسود، حملته حميَّته إلى وطيسها، يُغامِسُ مُغامَسَةً أهل الوفاق لا الشُّقاق...» هذه نماذج مبعثرة من العبارات المغماسيَّة المتناثرة في الحكايات، والمبتوثة فيها تنفُّاً تفيض جماليَّة ورقة وإبداعاً، وتبعث في الحكاية نكهة مميِّزة خاصَّة.

سلمت يدالك يا أستاذ جورج، فكم نحن اليوم بحاجة ملحَّة إلى أمثال خليلك هذا، وإلى هذه الحكايات والخبريات، التي تعمل على التَّصريف والتَّنْفيس عن الطَّاقات العدوانيَّة المحترقة لدى كثيرين في بلدنا وفي البلاد الشَّرقيَّة. وكم نحن بحاجة إلى لغة الفرح والحبِّ والحوار بدل لغة الأكاذيب والدَّجل السِّياسيِّ، ولغة الحروب والويلات، خليلك هذا رجلٌ سلام ومحبَّة، وهو الأنيس اللطيف، في عصر التُّرثرة والفضاغ.



**Is now available on NDU website, under NDU Press
www.ndu.edu.lb**

| | |
|---|------------------------------------|
| General Public Interest Series | سلسلة الشأن العام |
| Societal Research Series | سلسلة الأبحاث المجتمعية |
| Lebanese Emigration Research Series | سلسلة دراسات الاغترار اللبناني |
| Water, Energy & Environment Research Series | سلسلة الأبحاث المائية والبيئية |
| Financial & Economic Studies Series | سلسلة الدراسات المالية والاقتصادية |
| Historical Studies Series | سلسلة الدراسات التاريخية |
| Religious Illuminations Series | سلسلة أنوار الأديان |
| Cultural Horizons Series | سلسلة آفاق ثقافية |
| Humanities Series | سلسلة الانسانيات |
| Lebanese Manuscripts Series | سلسلة المخطوطات اللبنانية |
| Murex Series | سلسلة الموركس |
| Christian Education Series | سلسلة التثنية المسيحية |
| Compendium of the Virgin Mary in Lebanon | موسوعة العذراء مريم في لبنان |
| University Textbooks Series | سلسلة المقررات الجامعية |



Christian Education Series

